يوسف الرامي

الرجل الذي جمع رماد المحرقة

بقلم

سعاد صبري الجبلاوي

٢٠٢٦

يوسف الرامي: الرجل الذي جمع رماد المحرقة

بقلم: سعاد صبري الجبلاوي

تصميم الغلاف: ريمون مرقس

بريد الكتروني: brethrenpub@gmail.com

يُطلب من مكتبة الإخوة ٣ ش أنجه هانم - شبرا مصر. ت: ٢٥٧٩٢٢٨٤- ٢٥٧٩١٢٤٨

وفروعها:

مصر الجديدة: ٦٥ ش نخلة المطيعي - تريومف ت: ٠١٢٨٣٢٦٦١٤٣

الإسكندرية: ٦ ش الفسطاط - كيلوباترا ت: ٣٥٤٦٥٣٦٦ - ٠١٢٧٥١٧٢٧١٥

المنيـــا : ٦ ش الجيش ت: ٠١٢٠٧٢١٠٢٣٩

أسيـــوط : ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٠١٢٢٧٦٤٦٤٧٢

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

رقم الإيداع : **٣٣٣٧٦**/ ٢٠٢٥

الترقيم الدولي : ISBN: 978-977-321-384-8

طبع بمطبعة الإخوة بجزيرة بدران

Printed in Egypt

معلومات الفهرسة أثناء النشر

الجبلاوي، سعاد صبري

يوسف الرامي./ بقلم سعاد صبري الجبلاوي – ط ١ – القاهرة ٢٠٢٥

١٤٨ ص ، سم .

تدمك : ٨- ٣٨٤- ٣٢١ - ٩٧٧-٩٧٨

١- القديسون

٢- يوسف الرامي (القديس)

أ- العنوان **٢٧٣,٥٢**

رقم الإيداع: **٣٣٣٧٦/ ٢٠٢٥**

© جميع الحقوق محفوظة للناشر بالعربية. لا يجوز نسخ هذا الكتاب أو أي جزء منه بأية طريقة كانت، الكترونية أو مطبعية أو رقمية، بدون إذن خطي مسبق من الناشر.

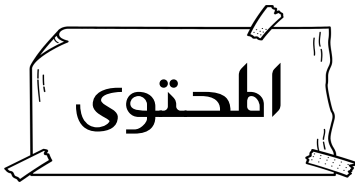

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	٥
مقدمة	٧
أوصاف يوسف الرامي	١١
أولاً : رَجُـل	١٥
ثانيًـا: غني.....	٢٣
ثالثًـا: من الرامة	٣١
رابعًا: تلميذ ليسوع	٣٩
خامسًا : مُشير	٤٩
سادسًا: شريف	٥٩
سابعًـا: منتظر ملكوت الله	٦٩
ثامنًـا: جسور	٨١
تاسعًـا: رجلاً صالحًا بارًا	٩٣

الموضوع	رقم الصفحة
أوصاف القبر	٩٩
كان قريبًا	١٠٠
حبرون والنهاية ثم القيامة	١١١
وفي البستان قبرٌ	١٢٥
جمع رماد المحرقة	١٣١

تقديم

لخادم الإنجيل الأخ/ صفوت تادرس

رَجُلان

كم أحب هذين الرَجُلين حبًا جمًا لأنهما أكرَما سيدي وحبيبي يوم آلامه، ويوم أن انصرف عنه الجميع، وُترِك وحيدًا كالعصفور منفردًا- مزمور ١٠٢: ٧، فكثيرون يعلمون مَن الذي صلب المسيح؟ ومَن الذي دق المسامير في يديه الطاهرتين؟ ومَن أولئك الذين نزعوا عنه ثيابه وعرُّوه، وجلَدوه؟ لكن قليلين هم الذين يعلمون مَن ذا الذي أنزله من فوق الصليب؟ وستَر جسده ولفَهُ بالأكفان وعطَّره بالأطياب؟

فإن كانت البغضة قتلتهُ وصلبتهُ، فإن المحبة أكرَمته ودفنته: كانا "نيقوديموس، ويوسف الرامي" تلميذان للمسيح في الخفاء، لكن لمَّا عَلِما بأنه حُكم على الحبيب بالصلب، التهب قلبيهما حبًا وتقديرًا له، ولم يستطيعا أن يخفيا إيمانهما بعد ذلك اليوم، فقرَّرا إكرامه أعظم إكرام، فجاء نيقوديموس بمزيج مرّ وعود نحو مئة منًا، أما يوسف فتجاسر وطلب جسد يسوع من بيلاطس فأذن له. فاشترى كتانًا، ووَهَب قبره الجديد الذي كان منحوتا في صخرة، الذي عمله لنفسه وبيته، للرب.

وكم أشكر الرب من كل قلبي لأجل الكاتبة العزيزة التي كشفت لنا هذا الشخص الحلو الذي بلغة العهد القديم: "رفع غبار المحرقة ليضعه في مكانٍ طاهر".

نعم لقد كان يوسف الرامي رجلًا في وقت عَزَّ جدًا فيه الرجال، بل وانقرضوا. وذهب معه نيقوديموس إلى موضع الصلب، فأخذا جسد يسوع، بعد أن نزعا المسامير من يديه ورجليه، وأخرجا الشوك من جبينه، وبكل حب وحنان، أنزلاه، ولفَّاه بالأكفان مع الأطياب كعادة اليهود، ووضعاه في قبر يوسف الرامي الجديد.

نعم أُحب هذين الرَجُلين، بل وكل مَن يحب سيدنا ويكرمه.

وليت شجاعة ومحبة وعطاء يوسف الرامي "موضوع هذا الكتاب" يلهب قلوبنا، ويشعل عواطفنا، ويوقظ غيرتنا لنحب المسيح، ونُكرمه «فالوقت منذُ الآن مُقَصَّرٌ» .. ولربنا المعبود كل المجد،،

صفوت تاورس

مقدمة

في نبوة إشعياء ٥٣: ٩ نقرأ عن ترتيب البشر، والترتيب الإلهي.

فقد رتب البشر أن يُجعل جسد الرب يسوع مع الأشرار: «جُعل مع الأشرار قبره»، لا سيما أن هناك لصَّين صُلِبا معه، ووُضع جسديهما بحسب الترتيب البشري في هذه الهوة التي تُلقى بها الأجساد.

لكن

اللّه الآب قد رتب ترتيبًا آخر، يخالف ترتيبات البشر.

فظهر يوسف الرامي في المشهد وطلب جسد الرب المبارك، ونال شرف تتميم باقي النبوة: «ومع غنيٍّ عند موته»، فكان هذا هو الغني المشار إليه في النبوة.

وبتدبير إلهي امتدت يدا يوسف مع نيقوديموس، فتسلَّما وأنزلا جسده الكريم، ولفّاه بالأكفان مع الأطياب.

وفي ٢صموئيل ١: ٢٤ تأتي مرثاة داود لشاول ويوناثان ابنه. وإن كان داود بقلبه المحب لم يرَ في شاول الذي اضطهده مرارًا وأراد قتله شيئًا سلبيًا، بل نراه يتكلم عنه كمَن ألبس بنات شعبه الثياب الفاخرة، ويحرِّض بنات

إسرائيل: «يا بنات إسرائيل، ابكين شاول الذي ألبسكن قرمزًا بالتنعّم، وجعل حُليّ الذهب على ملابسكن».

أما حزنه على يوناثان فلا حدّ له، فقال: «قد تضايقت عليك يا أخي يوناثان. كنت حلوًا لي جدًا. محبتك لي أعجب من محبة النساء» (٢صم١: ٢٦).

وذلك لأن يوناثان أظهر محبة خالصة حين جرد نفسه من كل أمجاده ومن قوس قوته ليجمل بها داود في يوم انتصاره على جليات، بل وكم من المرات تصدى للدفاع عنه حين كان شاول أبيه وكل المملكة ضد داود. وحتى في منفاه زاره وآزره، ولو أنه حقًا لم تكن لديه الشجاعة الكافية لاتباعه في زمن رفضه. ويُلاحظ أن داود لم يتكلم عن محبته ليوناثان، بل في رقة متناهية يشير إلى محبة يوناثان له.

والسؤال: إن كانت هذه هي شهادة داود عما فعله معه يوناثان، فكم نتوقع من أقوال ومديح وصفات، وأرقّ العبارات التي يشهد بها الرب يسوع له المجد عن المحبة الباذلة المضحية التي أظهرها يوسف للرب يسوع في زمن رفضه! تلك المحبة التي ظهرت تلقائيًا، والتي طرحت الخوف إلى خارج، فذهب إلى دار الولاية: «وسأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع. فأذن بيلاطس، فجاء وأخذ جسد يسوع».

وفي ١كورنثوس ١٢: ٢٨ نرى مجموعة من المواهب المتنوعة:

أولاً: رسلاً، ثانيًا: أنبياء، ثالثًا: معلمين، ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء، أعوانًا، تدابير... وكان الكلام عن ترتيبات الخدمة في الاجتماع.

لكن يبقى السؤال: هل كان يوسف الرامي من الرسل أو الأنبياء أو المعلمين؟ هل كانت لديه مواهب شفاء؟

الإجابة: كلا.

لكنه أثبت بجدارة أنه من «الأعوان»، وقدم خدمة جليلة لسيده ولكل المبشرين والمدبرين والمعلمين. إنه ليس كارزًا ولم نَره على منصة أو منبر، لكن ما قام به أعلن عن قلب ملتهب، مستعد لعمل أي شيء وكل شيء من أجل السيد الذي أحبه.

لقد قام بخدمة صعبة، وأظهر نشاطًا كافيًا ألهم قلب نيقوديموس شريكه في الخدمة، فكانا نِعمَ العون.

نقول هذا لأن كثيرين يقولون: أنا لست مبشرًا أو كارزًا أو واعظًا، وليست لي موهبة مميزة، فهل ليس لي دور في عمل الرب.

كلا يا أخي! يجب أن تعلم أن لكل واحد مكانًا خاصًا ليملأه، وعملًا محددًا ليعمله، وفي الوقت المعيَّن من الرب.

كما نرى هنا فجأة جاء الدور الرائع ليوسف الرامي. فقط عليك أن تكون مستعدًا لوضع كَتِفَك تحت الحِمل بقلب مُفعم بالحب والطاعة للسيد ولقيادة روحه، وهو سيستخدمك أمثل استخدام.

فنحن في مسيس الحاجة لخدمة الأعوان كما للمبشرين والرعاة والمعلمين، والهدف: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبناء جسد المسيح» (أف٤: ١٢). فقط عليك أن تسأل الرب: ماذا تريد أن أفعل؟ **فالخدمة الحقيقية هي في دعوة الله المحددة للفرد، والدافع الصحيح هو تمجيد الله في كل وجه من أوجه الخدمة.**

فالخدمة ليست نشاطًا

ولا نُقاس بحجمها،

بل بالدافع

لأداء ما يطلبه الرب منا.

فقط ابدأ بالجلوس عند قدمي الرب، وستكون قادرًا على خدمة أفضل وأنفع من خدمات كثيرة لها حجم كبير لكن منبعها الجسد.

إن يوسف الرامي قام بعملٍ جليل، فقد رفع الرماد الذي صيّرت النار المحرقة إياه على المذبح، وأخرج الرماد إلى خارج المحلة، إلى مكانٍ طاهر (لاويين ٦: ٩- ١١).

* * *

أوصاف يوسف الرامي

لقد وردت قصة يوسف الذي من الرامة في الأناجيل الأربعة، لأن الرب وعد بإكرام مَن يخدمه، وفي أمثال ٣: ٩، ١٠ «أكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلّتك. فتمتلئ خزائنك شِبعًا، وتفيض معاصرك مسطارًا».

ولا يوجد إكرام أعظم من أن يُذكر اسم يوسف وبلدته وعمله في كل البشائر، فهذه مكافأة من الرب لخادمه، وتكريمًا له.

وإذا جمعنا صفات يوسف الموصوف بها في البشائر، سنجدها عشرة صفات، وسنجد صفات القبر الذي كان له وأعطاه لسيده خمسة صفات. سنتناول كل صفة على حدة.

نقرأ في إنجيل متى ٢٧: ٥٧- ٦٠ «ولما كان المساء، جاء رجلٌ غنيٌ من الرامة اسمه يوسف، وكان هو أيضًا تلميذًا ليسوع. فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع. فأمر بيلاطس حينئذ أن يُعطى الجسد ولفّه بكتان نقي، ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخرة، ثم دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر».

فالبشير متى ذكر لنا عن يوسف أربعة صفات. أما مرقس فذكر لنا صفات أخرى ليوسف فقال:

تلميذ ليسوع. من الرامة. غني. رجل.

«جاء يوسف الذي من الرامة، مشيرٌ شريفٌ، وكان هو أيضًا منتظرًا ملكوت الله. فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع. فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعًا. فدعا قائد المئة وسأله: هل له زمانٌ قد مات؟ ولما عرف من قائد المئة، وَهَبَ الجسد ليوسف. فاشترى كتانًا، فأنزله وكفَّنه بالكتان، ووضعه في قبرٍ كان منحوتًا في صخرة، ودحرج حجرًا على باب القبر» (مرقس ١٥: ٤٣- ٤٦).

وهنا نجد مرقس أضاف لنا ٥ صفات ليوسف وهي:

مشيرًا. شريفًا. منتظر ملكوت الله. جسورًا، إذ دخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع.

وذكر أيضًا متى أنه من الرامة.

أما البشير لوقا فذكر صفات أخرى: «وإذا رجلٌ اسمه يوسف، وكان مشيرًا ورجلًا صالحًا وبارًا. هذا لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم، وهو من الرامة مدينة لليهود، وكان هو أيضًا منتظرًا ملكوت الله. هذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع، وأنزله ولفّه بكتان، ووضعه في قبرٍ منحوت حيث لم يكن أحد وُضِعَ قطُّ» (لو ٢٣: ٥٠- ٥٣).

وهنا نجد لوقا يذكر عن يوسف:

رجل. رجل صالح. بار.

مشير. منتظر ملكوت الله.

أما يوحنا فذكر أنه من الرامة، وأنه تلميذ ليسوع، ثم ذكر لنا صفة سلبية في يوسف وهي **خوفه من اليهود**، وسنرى كيف حوّلت المحبة الخوف إلى

شجاعة، وكيف اهتم هو ونيقوديموس بالأكفان والأطياب، كما أعطانا تفاصيل أكثر عن القبر.

فيقول في يوحنا ١٩: ٣٨- ٤٢ : «ثم إن يوسف الذي من الرامة، وهو تلميذ يسوع، ولكن خُفيةً لسبب الخوف من اليهود، سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع، فأذن بيلاطس. فجاء وأخذ جسد يسوع. وجاء أيضًا نيقوديموس، الذي أتى أولًا إلى يسوع ليلًا، وهو حامل مزيج مرّ وعود نحو مئة منًا. فأخذا جسد يسوع، ولفّاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفّنوا. وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان، وفي البستان قبرٌ جديد لم يوضع فيه أحدٌ قط. هناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود، لأن القبر كان قريبًا».

وعليه، سنجمع الصفات الواردة عن يوسف في البشائر الأربع في هذا الجدول الصغير لنتأملها بأكثر تدقيق لفائدتنا.

الإنجيل	ما ذُكر عن يوسف الرامي
متى	رجل من الرامة، صالح ومن الرامة، تلميذ ليسوع، ينتظر ملكوت الله.
مرقس	رجل من الرامة.
لوقا	من الرامة، تلميذ ليسوع، مشير، شريف، منتظر ملكوت الله، جسور، غني.
يوحنا	مشير، بار، خائف.

في ١كورنثوس ١٦: ١٣، ١٤ بولس يقدّم خمس توصيات مختصرة رائعة: «اسهروا، اثبتوا في الإيمان، كونوا رجالاً، تقوّوا، لتَصِر كل أموركم في محبة».

ويلاحظ أن حلقة الوصل في الوسط هي «**كونوا رجالاً**». فحياة السهر والثبات في الإيمان تتطلب رجولة. كما أن استخدام القوة الكامنة والمذخرة لنا في الرب، وأن تصير كل أمورنا في محبة، تتطلب أيضًا أن نكون رجالاً.

لا سيما أنه قال لهم في نفس الرسالة (١كو ٣ : ١) «وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين، بل كجسديين، كأطفال في المسيح»، لأنه كان عندهم انشقاقات وافتخار.

وفي نفس الرسالة (١كو ١٤: ٢٠): «أيها الإخوة، لا تكونوا أولادًا في أذهانكم، بل كونوا أولادًا في الشر، وأما في الأذهان فكونوا كاملين»- أي رجال.

وكما سنرى في الفتاة المسبية مثلاً في ٢ملوك ٥، فتاة تقوم بعمل لا يقوم به إلا الرجال. كانت الفتاة في بيت نعمان، لكن أظهرت بطولة ونضوجًا في غيرتها على إلهها ومحبتها لسيدها، وبإيمان عظيم في الله القادر على كل شيء تكلمت بكل أمانة عن النبي الذائع الصيت الذي كان يعيش في أرضها وبين أهلها، وتمنت أن يذهب سيدها إليه لكي يشفيه من برصه.

فهل ترى معي بطولة ونضوج هذه الفتاة الغيورة على مجد الرب، والمحبة التي ملأت قلبها حتى تجاه من سلب حق الحياة لها مع أسرتها؟

وكيف استخدم الرب شهادتها البسيطة وعمل بها عملاً جليلاً، ونال نعمان السرياني الخلاص الحقيقي وشفيَ تمامًا، ورجع لحمه كلحم صبي، واعترف: «هوذا قد عرفت أنه ليس إلهٌ في كل الأرض إلا في إسرائيل» (٢مل٥: ١٥).

والذي أوصله لهذا الإيمان وهذه المعرفة هو بطولة هذه الفتاة المسبية الصغيرة.

ويوسف ابن يعقوب وهو غلام نرى فيه رجولة يشهد عنها الكتاب، فيقول عنه في مزمور ١٠٥: ١٧ «أرسل أمامهم **رجلاً**، بيع يوسف عبدًا».

فقد كان غلامًا ابن سبعة عشر سنة حين وصفه الكتاب بالرجل، فيقول: «يوسف إذ كان ابن سبع عشرة سنة كان يرعى مع إخوته الغنم، وهو غلام». وبالفعل كرجل تحمّل عبء الإرسالية وشرف مَن أرسله. هذا ما فعله يوسف وهو غلام.

وفي أمثال ٢٠: ٦ «أكثر الناس ينادون كل واحد بصلاحهِ، أما الرجل الأمين فمَن يجده؟».

وكان يوسف الرامي رجلاً وأمينًا، ضحّى وقدم أفضل ما عنده، ويقينًا حُرم يومها من دخوله المجمع لأمانته، فحين أدخل الرب يسوع إلى قبره يقينًا رُفض هو من مجمع السنهدرين.

لكن الرب الذي أعلن ندرة الرجال الأمناء: «أما الرجل الأمين فمَن يجده؟». أعلن أيضًا في أمثال ٢٨: ٢٠ «الرجل الأمين كثير البركات».

وما أدراك ما البركات التي حصل عليها يوسف الرامي لاستقباله جسد الرب يسوع في قبره. وهذا واضح من أن الأربع البشائر روَت لنا قصته،

وكأنه يقول له ما قاله لمريم أخت لعازر التي قدمت عن طيب خاطر قارورة طيبها، وأعلن الرب: «إنها قد فعلت بي عملاً حسنًا... فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدي إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني». وأكمَل: «الحق أقول لكم: حينما يُكرز بهذا الإنجيل في كل العالم، يُخبَر أيضًا بما فعلته هذه تذكارًا لها» (مت ٢٦: ١٠- ١٣).

فقد عملت مريم الخدمة المناسبة في الوقت المناسب، إذ فهمت من كلام الرب أنه اعتاد أن يترك العالم، فهان عليها أن تقدّم له أغلى ما عندها، بغض النظر عن أن يفهمها أو يقدرها أحد، أو حتى يجرحها أحد أو يؤنبها آخر، فجل قصدها هو إكرام سيدها.

فيا لها من كرامة عظيمة نالتها! فلنثق أننا إذا عملنا مسرته لا نخسر شيئًا، بل بالعكس نكسب كرامةً وشرفًا.

وأعظم خدمة هي أن نجد سرورنا في إرضاء سيدنا.
وباب هذه الخدمة مفتوح أمام الجميع: رجالًا ونساءً،
صغيرًا وضعيفًا كالقوي وصاحب المواهب.

وفي ورود قصة يوسف الرامي في البشائر الأربع وما فعله، هو تذكار له. وفي إشعياء ٤٦: ٨: «اذكروا هذا وكونوا رجالًا». فكفانا طفولة روحية، ولنقدّم كل غالٍ وثمين لمن أحبنا وأسلم نفسه لأجلنا، ولنَشهد عنه بكل مجاهرة.

والروح القدس يرسم أمامنا في نشيد ٣ : ٧، ٨ صورة بديعة لرجال أُمناء متعلمون الحرب للدفاع عن الحق الثمين المُسَلَّم لنا، فيقول: «هوذا تَخت

سـليمان حولـه سـتون جبـارًا مـن جبـابرة إسرائيـل، كلهـم قابـضون سـيوفًا ومتعلمون الحرب، كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل».

ونحن نرى أن يوسف الرامي رجل من الرجال المتعلمين الحرب، والذي سيفه على فخذه وقتما رُفض الرب يسوع من خاصته، وكأن يوسف يعلن أن نفسه ليست ثمينة عنده، فأحاط بالرب وضمه إلى قبره بمحبة نقية طاهرة وإخلاص وغيرة مقدسة، حين كانت هجمات العدو ضد معبودنا الكريم، فوقف وقفة رجل، وذُكر عنه هذا الوصف في متى ٢٧: ٥٧ «ولما كان المساء جاء رجل غني من الرامة اسمه يوسف».

وأيضًا مرتين في لوقا ٢٣: ٥٠: «وإذا رجل اسمه يوسف وكان مشيرًا ورجلاً صالحًا وبارًا».

نعم، رجل ومتعلم الحرب وسيفه على فخذه، وقام بعمل جليل آثاره ليومنا هذا بقبره الفارغ. فلم يتخاذل ولم يعمل حسابًا لهجوم مجمع السنهدرين عليه، وقدَّم قبره ومركزه ومكانته في المجمع هدية للرب الذي امتلك على كل كيانه.

إننا لا نقرأ كثيرًا عن أقوال ذكرت ليوسف الرامي إلا ما جاء عنه ضمنًا في مرقس ١٥: «دخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع»، وما جاء في يوحنا ١٩: ٣٨: «سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع»، وأيضًا ما جاء في لوقا ٢٣: ٥٠: «لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم».

وعليه

فهو ليس كثير الأقوال، بل كثير الأفعال.

وفي ٢صموئيل ٢٣: ٢٠- ٢٣ نقرأ عن بطل من أبطال داود: «بناياهو بن يهوياداع، ابن ذي بأس، كثير الأفعال، من قبصئيل، هو الذي ضرب أسدي موآب، وهو الذي نزل وضرب أسدًا وسط جُب يوم الثلج. وهو ضرب رجلاً مصريًا ذا منظر، وكان بيد المصري رمح، فنزل إليه بعصا وخطف الرمح من يد المصري وقتله برمحه. هذا ما فعله بناياهو بن يهوياداع، فكان له اسم بين الثلاثة الأبطال... فجعلَه داود من أصحاب سره».

وهنا التشابه الرائع بين أقوال بناياهو بن يهوياداع القليلة وأفعاله الكثيرة، وبين يوسف الرامي وأقواله القليلة وأفعاله الجليلة. **وكل منهما تغلب على الصعوبات** دون اعتبار لحياته وما يواجهه من مخاطر، وظهرت عواطفه بشكل أوضح كثيرًا من قوته عندما وُضِعَ في الامتحان، فلم تُخِفهُ الأخطار أو عواقب الأمور حين تعلق الأمر بمَن أحبه.

وإن كان داود كافأ بناياهو بن يهوياداع: "فجعله من أصحاب سره"- أي مكان الثقة والمودة والشركة ورؤية وجه الملك في كل وقت، فكم وكم تكون مكافأة يوسف الرامي من يد الرب؟

وفي ٢صموئيل ١٩: ٣١، ٣٢ يأتي برزلاي الجلعادي الذي امتُحن وهو شيخ ابن ثمانين سنة بتقديم البركات الزمنية. وكان غنيًا جدًا لكنه وضع ثروته تحت تصرف الملك أثناء إقامته في محنايم. فيقول الكتاب: «ونزل برزلاي الجلعادي من رُوجليم وعبر الأردن مع الملك ليشيِّعه عند الأردن. وكان برزلاي قد شاخ جدًا. كان ابن ثمانين سنة. وهو عال الملك عنده إقامته في محنايم لأنه **كان رجلًا عظيمًا جدًا**».

كان يمكن له وهو غني وشيخ أن يقدم عطايا فقط أو لا يقدم، فهو ليس تحت التزام، لكنه قدم: «ونزل وعبر الأردن مع الملك ليشيعه». وداود قدّم له مكافأة تتناسب مع ولائه وإخلاصه: «اعبر أنت معي وأنا أعولك معي في أورشليم» (٢صم ١٩: ٢٣). لكن برزلاي لم يعمل لأجل المكافأة، بل يحكم على نفسه أنه غير مستحق، ويقول: «أنا اليوم ابن ثمانين سنة... لماذا يكون عبدك ثِقلاً على سيدي الملك؟ ... لماذا يكافئني الملك بهذه المكافأة؟ دع عبدك يرجع فأموت في مدينتي» (٢صم١٩: ٣٥- ٣٧). لكنه يوصي داود بمَن أحب: «كِمهام يعبر مع سيدي الملك، فافعل له ما يحسن في عينيك». فأجاب الملك: «إن كِمهام يعبر معي، فأفعل له ما يحسن في عينيك، وكل ما تتمناه مني أفعله لك».

وبالفعل في ١ملوك ٢: ٧ كل بني برزلاي الجلعادي كانوا بين الآكلين على مائدة سليمان. فهل كان يظن برزلاي الجلعادي أن ما قدمه سيُدوَّن ذكره بقلم الوحي على صفحات الكتاب المقدس ويقرأه مئات الملايين من الناس؟ إن أحدًا لم يتكلم عن غنى برزلاي، لكن محبته لداود وقت رفضه ووقفته البطولية الطوعية دون أي هدف، هي التي تُذكر.

فبرزلاي رجل، وهو ما نراه في الصفة الأولى ليوسف الرامي: رجل- أي **صاحب قرار وقت احتياج الأمر لقرار**.

وفي ٢صموئيل ١٠: ١ ذُكر معروف صنعه داود مع ناحاش ملك عمون، وأراد داود رد الجميل لابنه حانون الذي عوَّض عن أبيه. وإن كان ناحاش شخصية سيئة في ذاته وفي عداوة مع شعب الله، إلا أن الرب أخضعه ليعمل معروفًا في داود وقت رفضه. ومع أن الكتاب لا يذكر لنا شيئًا عن

هذا المعروف الذي قدّمه لداود، وربما ناحاش نفسه نسي ما قدمه، لكن داود لا يمكن أن ينسى معروفًا قُدم له.

فلما مات ناحاش ملك بني عمون، وملك حانون ابنه عوضًا عنه، قال داود: «أصنع معروفًا مع حانون ابن ناحاش كما صنع أبوه معي معروفًا. فأرسل داود بيد عبيده يعزيه عن أبيه» (٢صم ١٠: ٢).

لقد تغاضى داود عن كل صفات ناحاش، ولم يذكر عنه إلا ما عمله معه من معروف. فهل تتصور أن الرب يتجاهل أي خدمة تُقدَّم له حتى وإن كانت غير معروفة أو منظورة لمَن حولنا؟

فناحاش كان رجلاً في هذا الموقف غير المعروف لنا، وداود لم ينسَ له معروفه معه، كما لم ينسَ ما صنعه معه برزلاي الجلعادي الذي كان أيضًا غنيًا.

وقد بدأ سفر المزامير بالتطويب للرجل: «طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار، وفي طريق الخطاة لم يقف، وفي مجلس المستهزئين لم يجلس» (مز ١: ١).

وكلمة "طوبى" في الأصل جاءت في صيغة الجمع لتُعلن عن بركات كثيرة للرجل الذي يسلك بكماله. وهذا يتفق مع ما جاء في أمثال ٢٨: ٢٠ «الرجل الأمين كثير البركات».

لكن ما يلفت الانتباه في عدد ٤ من نفس المزمور الأول، حين يتكلم عن الأشرار، لا يقول عنهم رجالاً: «ليس كذلك الأشرار»، وهنا ملاحظتان:

أولاً: الرجل بالمفرد، لكن الأشرار كحزمة.

ثانيًا: دون أن يصف الشرير برجل، لأنه لو كان رجلًا لعرف أن يقول للشر "**لا**"، كما فعل يوسف ابن يعقوب الذي قاوم التجربة وقال لامرأة سيده بإباء: «كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله» (تك ٣٩: ٩). لذلك وُصف بأنه رجل: «أرسل أمامهم **رجلاً**» (مز ١٠٥: ١٧). لأنه برغم صِغَر سنه إلا أنه شبلُ ثابت.

أما أشرار المزمور الأول فليس لهم وزن، حتى إن الريح يحملهم: «ليس كذلك الأشرار لكنهم كالعصافة التي تذريها الريح» (مز ١: ٤).

نعم، يوسف الرامي أول صفاته **رجل**، لكنه أيضًا غني، وقد أكرم الرب بغناه، وهذه هي الصفة الثانية في صفات يوسف الرامي التي سنتأملها الآن.

ثانيًا: غَني

صحيح أن قصة يوسف الرامي ذُكرت في البشائر الأربع، لكن يُلاحظ أن البشير متى هو الوحيد بينهم الذي قال عنه: غني.

«ولما كان المساء، جاء رجلٌ غنيٌ من الرامة اسمه يوسف» (مت ٢٧: ٥٧).

فلِمَ انفرد بهذه الصفة عنه؟

إن البشير متى له طابعه الخاص، فهو يقدم للرب يسوع المسيح باعتباره المسيّا الملك، ونجد فيه أكثر من غيره من البشائر اقتباسات من العهد القديم (حوالي ٦٠ اقتباسًا). وذلك لأن إنجيل متى أساسًا كُتب لليهود، إذ كتب عن ملك اليهود.

ونحن نعرف أن إشعياء ٥٣: ٩ أخبرنا عن الترتيب البشري عند موت الرب يسوع، وعن الترتيب الإلهي الذي ألغى الترتيب البشري، فقال: «وجُعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته». وهذا هو الغني الذي أشارت إليه النبوة، وذكره متى البشير.

من الأمور الغريبة والمحزنة أن تكون الثروة لدى الأغنياء معطِّلة لهم عوضًا عن أن تكون مساعدًا أو مشجعًا لهم في الاقتراب إلى الله الذي أعطاهم هذه البركة. علمًا بأن الغنى ليس من العلامات الدالة على رضا الله على الأغنياء، ولا الفقر أو عدم الغنى يدل على عدم رضا الرب على الشخص الفقير.

فلدينا أمثلة كثيرة في الكتاب: أغنياء يتمتعون بالرضا الإلهي.

وأيضًا أمثلة أخرى مثل لعازر المَقروح، لكنه يتمتع بالرضا الإلهي.

فالكتاب يعلن في تكوين ١٣: ٢: «وكان أبرام غنيًا جدًا في المواشي والفضة والذهب»، لكنه لم يكن يكنز لنفسه، بل كان غنيًا لله.

والرب يسوع في لوقا ١٢ بعدما حذر من الطمع، وأعطى مَثَل الإنسان الغني الذي أخصبت كورته ولم يفكر إلا في نفسه وأثماره ومخازنه، قال له الله: «يا غبي، هذه الليلة تُطلب نفسك منك. فهذه التي أعددتها لمن تكون؟».

ثم حذرنا قائلاً: «هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنيًا لله». لقد كان أبرام غنيًا جدًا، ولُوط السائر مع أبرام كان له أيضًا غنم وبقر وخيام (تك ١٣: ٥). لكن أبرام رجل المذبح والخيمة، الذي وجد أن الله الخِلُّ الوحيد له، ودُعيَ "خليل الله"، أعلن فطامه عن العالم رافضًا المخاصمة بسبب الأملاك. أما لوط، فبرغم شهادة الكتاب عنه أنه بار، فقد كشف حقيقة نفسه أمام أبرام، وأنه ليس عنده أي استعداد أن يخسر شيئًا من ممتلكاته. فاشتهى أرض سدوم، لكنه لم يخرج منها بشيء، بل احترقت كل ممتلكاته.

ونقطة الدرس لنا نحن المؤمنين: حاشا أن نسمح لأنفسنا أن نجعل المال أو الغنى يسود علينا. فالمال سيد قاسٍ إذا سادَ على القلوب، لكنه عبد يُستخدم لمجد الرب. **وهذا ما فعله يوسف الرامي بغناه.**

لقد كان أخآب ملكًا شريرًا وكان غنيًا، لكنه مع وفرة غناه وسِعَة ممتلكاته، شعر أن سعادته لا تكتمل إلا بامتلاك حقل نابوت اليزرعيلي. فحسَدَ وقتلَ

بالتخطيط من إيزابل الشريرة بمؤامرة رديّة ذات مظهر ديني ليملك. لكنه لم يملك، إذ جاء إيليا بالإنذار الإلهي بأن اللعنة ستلحق به: "الكلاب ستلحس دمه في المكان الذي لحست فيه دم نابوت اليزرعيلي".

فإن أعطانا الرب غنى أو مالًا، نستخدمه لمجده، لأن المال في حد ذاته بركة من بركات الله، لكن إذا أُسيء استعماله يتحول إلى لعنة. وإذا اعتبرنا أنفسنا مجرد وكلاء مسؤولين عن وكالة، سنتصرف حسنًا بعطاياه لنا.

إن يوسف الرامي بشهادة الكتاب عنه **رجل صالح وبار**، يقينًا كان يعرف ما قاله داود في مزمور ٦٢: ١٠ «إن زاد الغنى فلا تضعوا عليه قلبًا». فسلك بالمكتوب، **فبرغم غناه، لم يكن قلبه على ماله**.

ويقينًا قرأ ما جاء في مزمور ٥٢: ٧ عن دواغ الأدومي الشرير: «الذي لم يجعل الله حصنه، بل اتكل على كثرة غناه واعتز بفساده».

وصلنا إلى الأصحاح السابع والعشرين من إنجيل متى، حيث انفرد بوصف يوسف بالغني. ورأينا كيف قدَّم يوسف كل ما يملك لخدمة الرب يسوع، فاشترى ليس مجرد كتان، بل «**كتان نقي**»، «فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقي» (مت ٢٧: ٥٩)- أي أجود أنواع الكتان وأغلاها ثمنًا، مع الأطياب، ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخرة (مت ٢٧: ٦٠).

وفي نفس الأصحاح نقرأ عن يهوذا الذي باع سيده بالفضة، لكنه لما رأى أنه قد دِين، ندم، وردَّ الثلاثين من الفضة، ثم مضى وخنق نفسه. ففقدَ حياته وأبديته. وتم ما جاء عنه في مزمور ١٠٩: ٨- ١٧ «لتكن أيامه قليلة، ووظيفته ليأخذها آخر. ليكن بنوه أيتامًا وامرأته أرملة... ليصطَد المرابي كل ما له، ولينهَب الغرباء تعبه... أحب اللعنة فأتته، ولم يُسَر بالبركة فتباعدت عنه».

فما أبعد الفارق بين هذا الخائن مُحب المال، الذي قال عنه الكتاب إنه لم يبالِ بالفقراء بل كان سارقًا، وكان الصندوق عنده، وكان يحمل ما يُلقى فيه (يو ١٢: ٦)، وبين هذه الشخصية الرائعة: **يوسف الرامي، الغني السخي**.

آه، كم أفسد الغنى كثيرين، لكن غنيًا مثل يوسف، منتظرًا ملكوت الله، لم يفسده المال ولم تستهويه الشهوات، لأن عينيه كانتا مرفوعتان إلى فوق.

فالغِنَى امتحان قد يعفي الرب الكثيرين منه لمعرفته بطبيعتنا. هَب أنك دخلت امتحانًا لمادة معيّنة، والممتحن أعدّ لك أسئلة للإجابة عليها، وإذ بك تُفاجأ بالممتحن يُعافيك من إجابة سؤال لصعوبته. فهل ستُصرّ على أن تمتحنه أم ستشكره على إعفائك من هذا السؤال الصعب؟ يقينًا ستشكره، لا سيّما وأنت تعرف صعوبة المرور من هذا السؤال الصعب.

هذا ما يفعله الرب معنا عندما لا يُعطينا غِنًى، فهو يعرف جبلتنا. وكاتب مزمور ٦٢ يُحذّر الأغنياء مما أسقط كثيرين منهم: «إن زاد الغِنَى فلا تضع عليه قلبًا».

نعم، فهذا ما فعله المال للغني الذي تكلّمنا عنه والوارد في لوقا ١٢: ١٩. ضرب لهم الرب مثلًا حذّرهم فيه من الطمع، فقال لهم: «انظروا وتحفّظوا من الطمع».

نعم، لأن هناك قلوبًا مُتدرّبة في الطمع (٢بط ٢: ١٤). والمَثَل يُقدّم لنا إنسانًا غنيًا أخصبت كورته، فهو في الأصل غني، لكن حالفه الحظ أكثر، فأخصبت كورته وأعطت نتاجًا وافرًا فوق المنتظر. فوقف هذا الغني في

حيرة: أين سيضع كل هذا الخير؟ وأخيرًا هداه تفكيره إلى الحل فقال: أعمل هذا: «أهدم مخازني وأبني أعظم».

إن مخازنه عظيمة لكنه يُريد الأعظم ليستوعب أكثر حتى لا يضيع شيء من هذا المحصول، بل «وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي». عجبًا! إنه لا يُفكّر إلا في نفسه.

والحقيقة أن عملية هدم الصوامع وبناء صوامع أكبر وأعظم تحتاج إلى نفقات كثيرة، وهو عنده استعداد أن يُنفق، لكن فقط على نفسه. أما أن يلتفت إلى مَن حوله من فقراء أو معوزين أو حتى أقارب له، فلم يخطر على باله هذا الفكر من أساسه. بل كل ما يشغله هو الجمع والتحويش.

وسليمان في جامعة ٢: ٢٦ يقول لنا بالروح: إن هذا ما يفعله الخاطئ: «أمّا الخاطئ فيعطيه شُغل الجمع والتكويم».

والغني في لوقا ١٢ بدأ يحلم ويقول لنفسه: «يا نفسُ، لكِ خيرات كثيرة، موضوعة لسنين كثيرة». ومن هنا نعرف أن هذا الغني شابٌ يحلم بالعمر الطويل، لأنه لو كان شيخًا طاعنًا في السن، لما قال لنفسه: أمامك العمر الطويل.

ألا ترى كمّ الغباء في أقواله ووعيده لنفسه؟ بل لقد منّى نفسه بالراحة في هذه السنين الكثيرة: «استريحي وكُلي واشربي وافرحِي!».

أي قد حان وقت الراحة بعد العناء، "لأني كم أتعبتك يا نفسي وحرمتك حتى أبلغ ما بلغت". لقد كان عصاميًا لأبعد الحدود، والآن بعدما زادت عظمته وزاد رصيده، قال إنه حان وقت الاستمتاع بالحياة.

لكن فيما هو مستغرق في أحلامه، إذا بصوت الرب يقول له: "يا غبي، هذه الليلة تُطلب نفسك منك، وستترك شبابك ومقتنياتك".

والحقيقة أن

- **الغبي** هو مَن تنتهي مخطّطاته وآماله عند حدود الأرض.
- **الغبي** هو مَن يهتم بما على الأرض.
- **الغبي** هو من يُفكّر في الأرضيّات (في ٣: ١٩).
- **الغبي** هو عبد ذاته، والأرض مجال أفكاره.
- **الغبي** هو من أهل الدنيا؛ الذين «نصيبهم في حياتهم»، ويأخذ من الله العطايا ويتجاهل العاطي. بذخائرك تملأ بطونهم. لكن قلبهم السمين قد أغلقوا (مز ١٧: ١٠، ١٤).

وسط رد الرب في القول: «هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنيًا لله» (يو١٢: ٢١). نعم، لأن **الغِنَى الحقيقي هو في الاتكال على الرب.**

إن «الأحياء يعلمون أنهم سيموتون» (جا ٩: ٥)، لكن ما أقل الذين يُفكّرون فيما بعد الحياة هنا، ويُلهيهم غِناهم عن أبديتهم.

وكثير من الأغنياء جعلوا الذهب رجاءهم، وقالوا للإبريز: «أنت مُتكلي» (أي ٣١: ٢٤)، أو قالوا في قلوبهم: «قوتي وقدرة يدي اصطنعت لي هذه الثروة»، ولم يُدركوا أن **الرب هو الذي يُعطي القوة لاصطناع الثروة.**

نعم، فالمال أو الغِنى امتحان قد يُعرِّض صاحبه أن يُلقي رجاءه على غير يقينيِّة الغِنى. وهذا ما جعل أجور يُصلي: «لا تُعطني فقرًا ولا غِنى. أطعمْني

خبز فريضتي، لئلا أشبع وأكفر وأقول: مَن هو الرب؟ أو لئلا أفتقر وأسرق وأتخذ اسم إلهي باطلًا» (أم ٣٠: ٨، ٩).

وإننا نفهم جيدًا أن يطلب إنسان أن يَعفيه الرب من الفقر لئلا يقوده لعدم الأمانة للرب، لكن أن يطلب إنسان أن يُعافيه الرب من الغِنى أيضًا، فهذا شخص يعرف حقيقة نفسه وفساد القلب البشري، ويخشى أن يصير كيشورون سَمِنَ ورَفس (تث ٣٢: ١٥).

لأن أصحاب الغِنى معرَّضون للسقوط أكثر من غيرهم. لكن الغِنى الجدير بالتسمية هو **الغِنى الروحي**. وعندئذ إذا صار الغني بالله غنيًا في العالم، تأكّد أنه سيُخضِع المال لخدمة سيده الذي جعله غنيًا. وهذا ما حدث مع يوسف الرامي «رجل غني»، لكنه لم يبخل على الرب بما عنده، حتى قبره الذي له أعطاه لسيده.

وفي جامعة ٥: ١٣ نقرأ «يوجد شرّ رأيته تحت الشمس: ثروة مصونة لصاحبها لضرره».

هذا ما نراه في ١ملوك ٢١. أخآب الذي لم يكن فقيرًا، كان له قصر من عاج (١مل ٢٢: ٣٩)، لكنه اشتهى حقل نابوت اليزرعيلي. ولما لم يتحقق مطلبه، دخل بيته مكتئبًا مغمومًا لأن مرغوبته صعب المنال. فهو غني، لكن ثروته وغناه لم تُشبعه، مما جعله "يغتم كثيرًا مع حزنٍ وغيظ" (جا ٥: ١٧).

وبعدما خططت له امرأته الشريرة إيزابل وقتل وورث (١مل ٢١: ١٩) ليستمتع بثمار طمعه وجشعه وشهوته وتحقق هدفه، لكن الرب أرسل لأخآب من ينتظره بحقل نابوت، ليُخبره بقضاء الرب. فلم يستمتع بكرم نابوت.

فأخآب كان غنيًا، لكنه قضى حياته "بغمّ كثير مع حزن وغيظ" (جا٥: ١٧). لأنـه كـان غنيًـا غبيًـا. وبلغـة أمثـال ٢٨: ٢٠: "لا يتـبرأ". لقـد قتـلَ لـيرث، استعجل الغِنى، «والمستعجل إلى الغِنى لا يُبرَأ».

فهناك كثيرون مثل أخآب لديهم غِنًى ومركز وجاه، لكنه لا يكتفي، لأن الغِنى هو هدف حياته. قد يُخطّط بالكذب والخديعة، وقد تنجح خططه، لكن تعجّله وسعيه وراء الثروة يُسقطه في شرّ أعماله، فلا يتبرأ عندما يُحاكم هنا من محاكم البشر، وقد يُلقى في السجون ويقضي باقي عمره بها ولا يستفيد بما جمع. وحتى إن لم يُحاكم هنا، فهل سيتبرأ عندما يقف أمام العرش العظيم الأبيض ويُدان؟

فما أبعد هؤلاء

عن يوسف الرامي الغني

الذي أكرم الرب بغناه،

وهذا هو الغِنى مع مخافة الرب.

من الرامة. هذه هي العبارة الوحيدة التي قيلت في البشائر الأربع عن يوسف أنه من الرامة. فقد قيل "رجل" في بشارتي متى ولوقا، و"غني" فقط في بشارة متى، لكن "من الرامة" أتت في البشائر الأربع:

(متى ٢٧: ٥٧) «ولما كان المساء جاء رجل غني من الرامة اسمه يوسف».

(مرقس ١٥: ٤٢) «جاء يوسف الذي من الرامة».

(لوقا ٢٣: ٥١) «وإذا رجل اسمه يوسف... وهو من الرامة».

(يوحنا ١٩: ٣٨) «ثم أن يوسف الذي من الرامة»...

لقد أراد الرب أن يكرم خادمه، ولا يوجد إكرام أكثر من أن يُذكَر اسمه وبلدته في كل البشائر.

والرامة اسم عبري معناه: قيامة أو صعود أو ارتفاع أو مرتفعة. وهي مدينة عاش فيها ألقانة والد صموئيل النبي، وولد فيها صموئيل وأقام بها: «وكان يذهب من سنة إلى سنة ويدور في بيت إيل والجلجال والمصفاة... وكان رجوعه إلى الرامة لأن بيته هناك» (١صم ٧: ١٧). وهي نفسها الرامة التي منها يوسف موضوع تأملنا.

وقيل التي كان أباه لاويًا وأمه حنّة المُصلية التي طلبت من الرب ابنا ونذرته له، وحين فطمته أتت به إلى شيلوه وكان صموئيل يخدم أمام الرب.

«وكبر صموئيل وكان الرب معه... وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد أُؤتمن صموئيل نبيًا للرب» (١صم ٣: ٢٠). وكان صموئيل قاضيًا ونبيًا.

وعليه، فالرامة التي منها يوسف، والتي تعني "قيامة أو مرتفعة" تشير إلى أن كل مؤمن حقيقي أدبيًا هو من الرامة وموطنه في السماء، وعليه أن لا يضع ثقته في المنظور ولا يتجه قلبه إلى العالم حتى لو أعطاه الرب فيه غنى أو كرامة، إلا أنه يستخدم العالم.

فيوسف الذي من الرامة عندما «تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع» (لو ٢٣: ٥٢) أعلن بطلبه هذا ترفُّعه (وهذا معنى الرامة) عن المركز والجاه، بل شعَر وهو غني مُشير أنه في أرضٍ غريبة، **وما بقيَ من عمره سيحياه غريبًا ونزيلاً.**

وعودة إلى قصة صموئيل النبي نرى حين «اجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة وقالوا له: هوذا أنت قد شِخت، وابناك لم يسيرا في طريقك. فالآن اجعل لنا ملكًا يقضي لنا كسائر الشعوب» (١صم ٨: ٤، ٥). فأمره الله أن يمسح شاول؛ أول ملك على إسرائيل.

وعند مسح شاول «أخذ صموئيل قنينة الدهن وصبَّ على رأسه وقال: أليس لأن الرب مسحك على ميراثه رئيسًا؟ في ذهابك اليوم من عندي تصادف رجلين عند قبر راحيل، في تُخم بنيامين في صلصح» (١صم ١٠: ١، ٢). وهذان الرجلان سيخبرا شاول أن الأتن التي ذهب يفتش عنها قد وُجدت.

لكـن الـسؤال: لماذا يا صموئيل يلتقيان مع شاول عند قبر راحيل بالتحديد؟ أليس هناك أي علامة أخرى بالطريق مُبهِجة عن هذه العلامة؟ قبر؟!

نعـم، لأن راحيل ماتت عند ولادتها ابنها الأصغر «وكان عند خروج نَفْسِها، ... دعَت اسمه "بن أوني"»- أي ابن حزني (تك٣٥: ١٨). ولكن يعقوب دعاه "بنيامين". وراحيل هي الوحيدة التي لم تُدفن في مغارة المكفيلة من زوجات الآباء، بل دُفنت في هذا القبر وهي في ريعان الشباب، وبعدما نالت كل ما أرادت.

فكأن صموئيل يقول لشاول: أنت في طريقك للمُلك، ولكن لا تدع المُلك يغريك ويلهيك عن أن الحياة قصيرة والموت في أية لحظة. فلا تستكبر، واسلك بالاستقامة.

وعليه، فإن كان قبر راحيل هو نفسه المكان الذي وُلد فيه بنيامين، لكن شاول لم يتعظ، فمرّ على قبر راحيل ولم يستوعب الدرس. أما صموئيل، وربما من صغر سنه استوعب هذا الدرس، وحين بنى بيته في الرامة لم ينسَ أن ينحت قبرًا كمَدفن له في بيته حتى لا ينسى أن الحياة ستنتهي، فيمشي متمهلاً لأنه غريب. والكتاب يذكر: «ومات صموئيل... ودفنوه في بيته في الرامة» (١صم ٢٥: ١).

ويوسف رجل غني من الرامة، ويقينًا وهو عضو في مجمع السنهدرين يعرف الكتب، وقرأ ما قاله صموئيل لشاول وفهم الدرس، وربما رأى بنفسه قبر صموئيل الذي في الرامة في بيته. وحين امتلك بيتًا وبستانًا وضع قبرًا في

بستانه حتى لا يلهيه غناه عن قِصَر الحياة. فبعدما يجالس الملوك والعظماء ويرى حياتهم وما فيها من ترف وطرب ورقص ولهو، عند عودته إلى بيته يمر أولاً على القبر الذي في البستان فيقول لنفسه: "إياك من هذا الانغماس، إياك وحياة الترف، إياك من هذه الحياة". لا سيما أنه قيل عنه: «منتظر ملكوت الله» (مر ١٥: ٤٣؛ لو ٢٣: ٥١).

فكان لهذا الانتظار تأثيره العملي في حياة يوسف الرامي، فلم يكن قلبه متعلقًا بالعالم أو بالأشياء التي في العالم، واستطاع أن يدوس بعز.

وبالنسبة لنا، فالرامة كما سلفنا تعني قيامة أو صعود أو ارتفاع، وهي تعلن لنا أن: «سيرتنا نحن هي في السماوات، التي منها أيضًا ننتظر مخلّصًا هو الرب يسوع المسيح، الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده، بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في ٣: ٢٠، ٢١).

وسيرتنا تعني وطننا أو قُبلة أنظارنا وموضوع مشغولية قلوبنا، وهذا معناه أننا على الأرض غرباء ونزلاء وأجنبيون. وواضح أن الكلام عن المؤمنين الحقيقيين جسد الرب يسوع المسيح وعروسه، كنيسته أو جماعته.

إن أول ذِكْر للكنيسة في العهد الجديد جاء في متى ١٦: ١٦، ١٨ فبعدما قال بطرس للرب: «أنت هو المسيح ابن الله الحي». قال له الرب: «على هذه الصخرة أبني كنيستي»- أي جماعتي.

والصخرة- كما نعلم -هي شخص الرب يسوع الذي اعترف به بطرس «ابن الله الحي». ويلاحظ أن «أبني» تعني أن الكنيسة كبناء جديد كان

مزمعًا أن يُبنى، وهذا ما حدث يوم الخمسين. ولأنه هو الباني فلن تقوى عليها ولا أبواب الجحيم إلى أن يأتي ويأخذها إليه.

وفي أفسس ٢: ٧ يعلن الرب لنا أن قصده الأسمى في عمل الفداء ليس مجرد خلاص المفديين- مع روعة هذا -بل غنى نعمته الفائق نحو الكنيسة: «ليُظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق، باللطف علينا في المسيح يسوع». نعم، فقد اختارنا قبل تأسيس العالم، وفي الأبدية نرى الكنيسة الممجدة كإعلان النعمة الغنية الفائقة، مما دعا بولس أن يُهلل:

«له المجد في الكنيسة
في المسيح يسوع إلى جميع أجيال دهر الدهور» (أف ٣: ٢١).

فيا لسمو المقام الثابت والدائم الذي أعطاه الله للكنيسة، التي هي مسكن الله في الحاضر وفي المستقبل: «مسكن الله في الروح» (أف ٢: ٢٢). وفي الأبدية، فالله الذي هو الكل في الكل، ستكون الكنيسة مسكنًا له في الروح: «**هوذا مسكن الله مع الناس**» (رؤ ٢١: ٣). ونحن نعلم أن مسكن الله هو الكنيسة. فالكنيسة مكانها الأبدي الدائم هو بيت الآب.

أما الناس فغني عن التعريف أنهم كل المؤمنين الذين كانوا على الأرض الألفية وانتقلوا إلى الأرض الجديدة بعدما تغيروا ولبسوا أجسادًا تناسب الحالة الأبدية حيث الكل قد صار جديدًا. لكن هذا السر أُعلن بعد قيامة المسيح، فالكنيسة تأسست يوم الخمسين. والآن الكنيسة مملوءة من جميع المؤمنين الحقيقيين خلال المدة ما بين حلول الروح القدس وحتى الاختطاف.

ومن أهم مميزات الكنيسة الحقيقية وحدتها الروحية، فهي ليست فقط جماعة من الخطاة الذين خَلُصوا، ولكنها جماعة تكوِّن جسدًا واحدًا متحدًا

بالرأس الحي في السماء، وكل مسيحي حقيقي هو عضو في هذا الجسد، وله عمل يجب أن يؤديه.

وفي أعمال ١٠ يذكر لنا الكتاب عن بطرس أنه «صعد .. على السطح ليصلي... وقعت عليه غيبة، فرأى السماء مفتوحة، وإناءً نازلًا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومُدلاة على الأرض. وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وصار إليه صوتٌ: «قم يا بطرس، اذبح وكُل». قال بطرس: كلا يا رب! لأني لم آكل قط شيئًا دنسًا أو نجسًا. فصار إليه أيضًا صوتٌ ثانيةً: «**ما طهَّره الله لا تدنسه أنت!**». وكان هذا على ثلاث مرات، ثم ارتفع الإناءُ أيضًا إلى السماء» (أع ١٠: ٩- ١٦).

إن بطرس لم يكن يفكر في الأمم الذين كانت النعمة تجهّز طريقًا لهم، لكن ما رآه أُعلن له في شهادة مثلثة عن تطهير الله للأمم بالإيمان، وأن الصليب قد غيّر كل شيء وأصبح لا يوجد فرق بين يهودي وأممي. فالذي كلَّمه من السماء أعلن له زوال السياج بين اليهود والأمم.

واستوعب بطرس الدرس بواسطة الملاءة التي نزلت من السماء وارتفعت إليها، وفهم أنه الآن لا فرق بين يهودي وأممي.

ولفائدة القارئ روحيًا سأضع أمامك بعض النقاط لتتأمل فيها في ملاءة بطرس:

أولاً: لاحظ أنها ملاءة عظيمة مربوطة- أي ضعيفة قليلة العمق، لكنها عظيمة. وسر عظمتها وسر الطمأنينة أنها مربوطة من فوق، ولذا لا يمكن أن يسقط منها أحد. وهذا هو سر سلامنا وطمأنينتنا كمؤمنين أن المؤمن يستحيل أن يهلك، فالملاءة مربوطة. صحيح قد يُؤدَّب لكنه لا يهلك.

«من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون. لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لَمَا حُكم علينا، ولكن إذ قد حُكم علينا، نؤدَّب من الرب لكي لا نُدان مع العالم» (١كو ١١: ٣٠- ٣٢).

فهنا نرى ثلاث درجات من الرب في التأديب: ضعفاء، مرضى، وقد يستمر المرض والضعف ليصل إلى الموت تحت التأديب هنا. فالكتاب ينفي الهلاك عن المؤمن الحقيقي.

وفي رومية ٨: ١ يعلن: «إذًا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع». والرب يسوع أعلن بفمه الكريم أكثر من مرة هذا الحق، فمثلًا في يوحنا ٣: ١٦ «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية».

وفي يوحنا ٥: ٢٤ يقول: «الحق الحق أقول لكم: إن مَن يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة، بل قد انتقل من الموت إلى الحياة».

أيضًا في يوحنا ١٠: ٢٩ أعلن سيدنا المعبود الكريم: «خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني، وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي». فالخلاص من الدينونة حق كتابي، واستحالة هلاك المؤمن، مصدر أفراحنا.

فالملاءة برغم أنها ملاءة ضعيفة قابلة للتمزق، لكن ما يطمئن قلوبنا أنها مربوطة بيد قوية من فوق. لكنها أيضًا مُدلاة على الأرض، وهذه هي رسالتنا.

ثم إنها كان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء، لأنه لا فرق، فقد زال السياج بين اليهود والأمم. ولولا الدعوة والاختيار، وقد طهّر الرب قلوبنا بالإيمان وغيّر طبيعتنا، ما كان هذا حالنا.

لكن يُلاحظ أيضًا أن أعمال ١٠: ١٦ «ثم ارتفع الإناءُ أيضًا إلى السماء». وفي أعمال ١١: ١٠: «انتُشل الجميع إلى السماء».

وما أروعها عبارة تُعلن أن دعوتنا سماوية، ونهايتنا الاختطاف إلى السماء. ولا صحة للاختطاف المرحلي أو على دفعات، كما أنه إعلان أن الاختطاف لحظي ولن يُترك مؤمن، لأن الاختطاف بالنعمة وليس بالاستحقاق.

وعليه، فالرامة التي منها يوسف، والتي تعني "قيام" أو "مرتفعة"، تعلن أن كل مؤمن حقيقي أدبيًا هو من الرامة، وموطنه السماء. وعليه أن لا يضع ثقته في المنظور ولا يتجه ميله إلى العالم، حتى لو أعطاه الرب فيه غنى وكرامة، فعليه أن يستخدم العالم.

فيوسف الذي من الرامة عندما تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع (لو ٢٣: ٥٢)، أعلن بطلبه هذا ترفُّعه، وهذا معنى "الرامة"، فقد أعلن ترفُّعه عن المركز والجاه. بل شعر- وهو غني ومشير -أنه في أرض غريبة، وما بقيَ من عمره سيحياه غريبًا ونزيلاً، لكنه في شركة حقيقية مع المؤمنين.

فحياة الإيمان هي انفصال واتصال:
انفصال عن ما قبل الإيمان،
واتصال فعلي بكل ما ينمّي الإيمان .

ورَد عن يوسف الرامي «تلميذ ليسوع» مرتين (مت ٢٧: ٥٧): «ولما كان المساء، جاء رجلٌ غني من الرامة اسمه يوسف. كان هو أيضًا تلميذًا ليسوع». وفي يوحنا ١٩: ٣٨: «ثم إن يوسف الذي من الرامة، وهو تلميذ يسوع، ولكن خُفيةً بسبب الخوف من اليهود».

لقد قلنا إن البشائر الأربع ذكروا أن يوسف من الرامة تكريمًا من الرب له ولبلدته التي جاء منها. فالسؤال: لماذا ذكر "تلميذ ليسوع" في بشارة متى وإنجيل يوحنا فقط؟ هل هناك أسباب؟ نعم. لأن إنجيل متى ينتهي بغرض الرب من إرساليته لتلاميذه ويركز على التلمذة (مت ٢٨: ١٨- ٢٠): «فتقدم يسوع وكلمهم قائلًا: دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به».

ومتى كان في الأصل جابيًا في كفرناحوم (مت ٩:٩): «وفيما يسوع مجتاز من هناك، رأى إنسانًا جالسًا عند مكان الجباية، اسمه متى. فقال له: اتبعني. فقام وتبعه». وهنا متى نفسه يروي ما حدث.

لقد كانت وظيفة متى محتقرة من اليهود، وكان العشارون غالبًا ما يُمنعون من دخول الهيكل أو المجمع أو الاشتراك في الصلوات. لكن الرب الذي كان

قد اتُّهم أنه محب للعشارين والخطاة، أراد أن يختار عشّارًا بين رسله. فدعا متى وقبل متى الدعوة دون تأجيل، وترك المال والأرباح وقام وتبعه. ولم يدرك متى أنه بقبول هذه الدعوة سيصير رسولاً، وسيكتب لنا إنجيل متى الذي كُتب أساسًا لليهود واقتبس كثيرًا من نبوات العهد القديم.

وربما كان متى تلميذًا ليسوع لكن خفية، ليس لخوفه من اليهود، لكن لحرصه على وظيفته. فالذي رُفض من اليهود واحتقره اليهود بحث عنه الرب يسوع ودعاه. وكأن متى يقول في نفسه ليوسف الرامي: أنا كنت مثلك تلميذًا ليسوع سرًا، لكنه نظر إلى أشواقي ودعاني للتلمذة علنًا، فتركت كل شيء وتبعته.

أما يوحنا فسيذكر أن يوسف كان في بادئ الأمر يخاف اليهود: "فهو تلميذ ليسوع، لكن خُفيةً بسبب الخوف من اليهود". ويركز يوحنا على الخوف الذي كان في يوسف، لأن يوحنا هو الوحيد الذي تخلّى عن خوفه مبكرًا: فدخل مع يسوع إلى دار رئيس الكهنة، بل وخرج وكلم البوابة فأدخلت بطرس (يو ١٨: ١٥، ١٦).

ولاحظ أن من بين كتَبة البشائر الأربع، هناك اثنان من الرسل وهما متى ويوحنا، أما مرقس ولوقا فلم يكونا من الرسل. أيضًا متى ويوحنا فقط كانا من تلاميذ الرب يسوع، أما لوقا ومرقس فلم يكونا من التلاميذ. لذا يلفت انتباه متى ويوحنا أن يشيرا إلى أن يوسف كان تلميذًا ليسوع.

والرسولين متى ويوحنا، هما فقط اللذان شاهدا حادث الصعود من بين كتبة البشائر، برغم أنهما لم يسجلاه في بشارتيهما. لكن مرقس يذكر حادث الصعود (مر ١٦: ١٩): «ثم إن الرب بعدما كلمهم ارتفع إلى السماء».

وكـذلك لوقـا (لـو ٢٤: ٥١) «وفيمـا هـو يبـاركهم انفـرد عـنهم وأُصـعد إلى السماء». لكن متى ويوحنا كشهود عيان تأثرا جدًا بهذا الحادث وتكلما عن المسؤولية التي عليهم كتلاميذ بعد صعود سيدهم، التي أوصى بها: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم» (مت ٢٨: ١٩). أما يوحنا فوصف نفسه بالتلميذ قائلًا: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا» (يو ٢١: ٢٤).

والحقيقة أن عبارة «تلميذ» ومشتقاتها وردَت في الأربع بشاير ١٠٩ مرة، أما بالجمع فوردَت ٢٣٤ مرة في البشائر الأربع، منها ٣٩ مرة في إنجيل متى، و٤٤ مرة في إنجيل يوحنا. أما مرقس فذكرها ١٤ مرة، ولوقا أقلهم ذكرها ١٢ مرة فقط. وعليه فمتى ويوحنا مشغولان بالتلمذة، وهي إرسالية على جانب عظيم من الأهمية، لأنها آخر طلبة طلبها الرب يسوع من تلاميذه أن يفعلوها.

كما أن أول ورود وآخر ورود لكلمة «تلميذ» في كل من إنجيل متى أو يوحنا لها مدلولها. ففي متى ٥: ١، ٢ والكلام عن الرب يسوع: «ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل، فلما جلس تقدم إليه تلاميذه. ففتح فاه وعلّمهم».

فهنا المعلّم يعلّم تلاميذ ويعرّفهم مبادئ ملكوت السماوات، مع العلم بأن عظة الجبل لا تشرح طريق الخاطئ إلى السماء، لكنها تشرح طريق السماء إلى المؤمن. إنها حديث الرب مع تلاميذه عن طابع سلوكهم ومركزهم وشهادتهم. فكان يتلمذهم قبلما يدعوهم إلى تلمذة الآخرين. وهذا ما في آخر ورود لكلمة «تلمذة» في نفس البشارة، فكانت إرسالية الرب يسوع لتلاميذه: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن

والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ١٩، ٢٠):

> **هذه هي الكلمات الختامية للرب يسوع** بعد قيامته بحسب هذه البشارة. فهو كصاحب السلطان يقلّد تلاميذه مهام الخدمة المباركة. فالتلاميذ سيتلمذوا ويعمدوا ويعلّموا، لكن ليس بمفردهم، فقد وعدهم بالمعين: «**وها أنا معكم**». وليس لوقت معين، بل كل الأيام. ولم ترد كلمة «**كل الأيام**» في كل الكتاب المقدس إلا هنا. فهو وعد لكل مؤمن، **وعد لا يسقط أبدًا**. وكما بدأ إنجيل متى بعمانوئيل "الله معنا"، ينتهي أيضًا بالله معنا.

أما إنجيل يوحنا فأول ورود لكلمة «التلميذ» كان عن تلميذين من تلاميذ المعمدان يوحنا، أحدهما (يو١: ٣٥- ٣٧): «وفي الغد أيضًا كان يوحنا واقفًا هو واثنان من تلاميذه، فنظر إلى يسوع ماشيًا، فقال: هوذا حمل الله. فسمعه التلميذان يتكلم، فتبعا يسوع». كان هذان التلميذان هما يوحنا وأندراوس، وسمعا الشهادة الحق من الخادم الأمين فتركا المعمدان وتبعا يسوع، "ومكثا عنده ذلك اليوم"، وكان هذا أول اجتماع باسم الرب والرب في الوسط.

أمّا آخر ورود للتلميذ في إنجيل يوحنا فكان في يوحنا ٢١: ٢٤، والمتكلم كان يوحنا نفسه، ويصف نفسه بالتلميذ: «هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا وكتب هذا، ونعلم أن شهادته حق». هذه هي الشهادة الختامية ليوحنا الحبيب.

لكن تكررت كلمة تلميذ قبلها بقليل عن بطرس ويوحنا عندما: «فالتفت بطرس ونظر التلميذ الذي كان يسوع يحبه يتبعه» (يو ٢١: ٢٠). هذا بعد أن قال الرب لبطرس: «اتبعني». فسأل بطرس عن يوحنا: «وهذا ما له؟» حين رأى يوحنا يتبع المسيح، فكان رد الرب يسوع على بطرس مرة ثانية: «**اتبعني أنت**».

وعليه، فإنجيل يوحنا بدأ بتلميذين يتبعان الرب، وهما يوحنا وأندراوس، وانتهى بيوحنا وبطرس يتبعان الرب يسوع، وهذه هي التلمذة الحقيقية. ونحن لا نرى نهاية طريقهم، لأنه بينما هم يمشون هكذا يختم الإنجيل وكأن سحابة أخذتهم عن عيوننا إلى الطريق المؤدي إلى بيت الآب. فالرب في بادئ الأمر أراهم أين يمكث (يو ١: ٣٩) ومكثوا معه. أمّا هنا فإشارة إلى أن **كل تلميذ حقيقي للرب يسوع سيمكث معه إلى أبد الآبدين**.

إن متى البشير كان في الأصل- وكما ذكرنا -مرفوضًا من اليهود ومجمعهم لوظيفته. وربما في هذا الوقت كان ضمن العشارين والخطاة الذين كانوا يأتون إلى الرب يسوع ليسمعوا منه. لذا عندما عمل ضيافة كبيرة للرب يسوع في بيته: «إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه» (مت ٩: ١٠). وعليه قد يكون تلميذ قديم ليسوع، وكأنه يقول ليوسف الرامي: أنا كنت مثلك تلميذًا ليسوع سرًا إلى أن دعاني وقال لي: اتبعني، فقمت وتبعته علنًا.

أمّا موقف يوحنا من يوسف الذي من الرامة، وهو تلميذ يسوع لكن خفيةً لسبب الخوف من اليهود، كأنه هو أيضًا يقول: أنا كنت من تلاميذ يسوع الأولين حين دعاني أنا ويعقوب أخي لنكون من تلاميذه، فللوقت تركنا

السفينة وأبانا وتبعناه بلا خوف من اليهود. لكن ما نتفق عليه أنك أنت يا يوسف كنت تلميذًا أيضًا وربما قديمًا قبلنا، لكن مركزك أعاقك بعض الوقت.

وفي أعمال ٢١ نقرأ عن تلميذ قديم اسمه مناسون: «وبعد تلك الأيام تأهبنا وصعدنا إلى أورشليم. وجاء أيضًا معنا من قيصرية أناس من التلاميذ ذاهبين بنا إلى مناسون، وهو رجل قبرسي، تلميذ قديم، لننزل عنده» (أع ٢١: ١٥، ١٦).

وتلميذ قديم قد لا يكون معناها أنه كبير السن، بقدر ما يكون المقصود أنه سار في طريق التلمذة منذ بداية المسيحية. وكأن لوقا كاتب سفر الأعمال يقول عن مناسون: صار تلميذًا قبلي، فهو تلميذ قديم أقدم مني، أي طال به العهد تلميذًا. وباعتباره تلميذًا قديمًا، فلا بد أنه يعرف كثيرًا من الإخوة وعنده الكثير من الاختبارات. لكن لم نقرأ عن مناسون إلا في أعمال ٢١: ١٥ عندما استضاف بولس ومن معه. تمامًا مثلما لم نقرأ عن يوسف الرامي إلا عند أحداث الصليب، برغم أنه تلميذ، إلا أنه ظهر فجأة بترتيب إلهي ولخدمة محددة معينة من الرب له.

لكن لنقف عند عبارة: «خُفيةً لسبب الخوف من اليهود»، لنأخذ منها دروسًا، وأيضًا نرى من خلالها تعليمًا كتابيًا عن مجيء الرب للاختطاف. والسؤال: لماذا كان يوسف يخاف من اليهود؟ لقد انفرد يوحنا بذكر خوف يوسف من اليهود، كما انفرد بالإجابة عن سبب الخوف عندما انفرد بذكر معجزة المولود أعمى (يو ٩).

وفي الحديث عن أبويه عندما لم يصدق اليهود عنه: «أنه كان أعمى فأبصر، حتى دعوا أبوي الذي أبصر. فسألوهما قائلين: أهذا ابنكما الذي تقولان إنه وُلد أعمى؟ فكيف يبصر الآن؟ أجابهم أبواه وقالا: نعلم أن هذا ابننا، وأنه وُلد أعمى. أمّا كيف يبصر الآن فلا نعلم. أو مَن فتح عينيه فلا نعلم. هو كامل السن، اسألوه، فهو يتكلم عن نفسه. قال أبواه هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود، لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يُخرَج من المجمع» (يو ٩: ١٨- ٢٢).

فسبب خوف يوسف الرامي من أن يعلن أنه تلميذ ليسوع، هو حرصه على مكانته الدينية، وخشيته أن يخرجوه خارج المجمع كما كانوا يفعلون، أو ربما قد يلفقون له تهمة ويرجموه.

لكن

جاء الوقت واعترف يوسف بتبعيته للرب يسوع بعدما رآه معلقًا على الصليب، باذلاً نفسه لأجل العالم. يقينًا هو أفرز نفسه خارج المجمع.

أعتقد عزيزي القارئ أنك توافقني الرأي أن هناك الكثيرين وخاصةً في هذه الأيام، يتبعون الرب يسوع ومن القلب، لكن في الخفاء نظير يوسف الرامي، لأسباب كثيرة، وعلينا أن نصلي لأجلهم.

ويجب أن نعرف أن الشيطان سيستغل موقف أمثال هؤلاء الذين يتبعون المسيح خفية بسبب الخوف بعد اختطاف الكنيسة. كيف؟ لأنه عند الاختطاف سيؤخذ هؤلاء التلاميذ الذين لم يجاهروا بأنهم آمنوا بالرب يسوع، وسيكون بينهم يهود وأكراد وبوذيون وسريانيون وملحدون وغيرهم من كل الأديان والمعتقدات.

والاختطاف سيكون غير منظور وغير مسموع من العالم، حتى من المسيحيين بالاسم، المرموز لهم بالعذارى الجاهلات. لكن العالم سيفاجأ بغياب جميع الأطفال من كل الأجناس والأديان، وأيضًا بغياب عدد لا يُستهان به من رجال ونساء يُعرف أنهم أتباع للرب يسوع. لكن أيضًا أعداد لا يُستهان بها ممن يُعرف أنهم غير مسيحيين، وهم في حقيقة الأمر مؤمنون حقيقيون بالمسيح، لكن مثل يوسف خُفية بسبب الخوف. سيصيب العالم دهشة وحسرة، لكن فجأة سيجد العدو شخصيات مشبّهة في الكتاب بالشنيعة: «تحت ثلاثة تضطرب الأرض، وأربعة لا تستطيع احتمالها: تحت عبدٍ إذا ملك، وأحمق إذا شبع خبزًا، تحت شنيعةٍ إذا تزوجت، وأَمَةٍ إذا ورثت سيدتها» (أم ٣٠: ٢١- ٢٣).

صحيح أن العبد الذي يملك يشبه المطر الجارف (أم ٢٨: ٣٠)، والأحمق إذا شبع يحتقر المعوز كما فعل نابال، والشنيعة إذا تزوجت لا تصون زوجها، والأَمَة إذا تسيَّدت تقصى حق سيدتها وتسيء إليها. لكن تدبيرًا لهذا الكلام عمق أكبر، فالعبد التي سيملك هو الوحش الروماني الطالع من البحر الذي له سلطان سياسي (دا ٧: ٢٦)، والأحمق هو النبي الكذاب الطالع من الأرض (رؤ ١٦: ١٣)، وعن الشنيعة فهي بابل الزانية العظيمة الجالسة على الوحش (رؤ ١٧). أما الأَمَة فهي المسيحية الاسمية المتبقية بعد اختطاف الكنيسة.

وسواء الشنيعة أو الأَمَة فقد فُسح لهما المجال بعد اختطاف الكنيسة ليقدما تبريرات لِما حدث للمؤمنين واختطافهم، كما تعودا بلوي الحق. في الكتاب سيكون كما هو بين أيديهما، والروح القدس ليس فيهما، فما العجب

من أن يقدما تفسيرات وتبريرات واهية لِما حدث، لتبرير لماذا لم يؤخذا بالاختطاف. وقد تذيعان عن سيدتهما- أي الكنيسة الحقيقية مذمة، وإن ما حدث هو قضاء.

نعم، نعود ونقول: إن كثيرين من تلاميذ الرب يسوع خفية بسبب الخوف سيُسببون بلبلة بعد اختطاف الكنيسة.

والحقيقة أن الرب كلما قال «**لا تخف**» يقدم حيثيات تُذهِب الخوف عنا: «**لا تخف لأني... أنا معك**». «**أنا ترسٌ لك**». «**أنا أعينك**». «**أنا أنقذك**». وهذا ما دفع شخص مثل كالب ابن يفنة، وهو ابن ٨٥ سنة، أن لا يخاف الأعداء أو الجبال، وقال ليشوع: «أعطِني هذا الجبل الذي تكلم عنه الرب». رغم علمه أن «العناقيين هناك، والمدن عظيمة محصَّنة» (يش ١٤: ١٢).

فرجل الإيمان يعلم صعوبة الجبل ووعورة الطريق، لكن بالإيمان قادرٌ عليها. لذلك لم يذكر الكتاب موت كالب، بل أغفله ليعلن لنا أن **الإيمان حي ويُمسك بمواعيد الرب، فيطرح الخوف إلى خارج.**

ولا ننسى أن الرب يسوع قال في يوحنا ١٢: ٣٢: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع». وهو مرفوع الآن بالفعل على الصليب أمام عيني يوسف، وجذب بجاذبية الصليب اللص التائب، وجذب قلب نيقوديموس، وأيضًا جذب قلب يوسف الرامي، فأخذ القرار بالجهر بتبعيته للمسيح. وبعد أن كان خائفًا من اليهود «تجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع»، وكأنه فعل ما فعله المجوس بعدما «رأوا الصبي مع مريم أمه»، وبعدما خروا وسجدوا له، انصرفوا في طريق آخر (مت ٢: ١٢). فهذه قصة كل من تقابل مع الرب يسوع.

وهذا ما فعله يوسف الرامي،

لقد أخذ القرار بالمجاهرة بتبعيته للرب يسوع،

وطرد الخوف إلى خارج،

وتجاسر وطلب جسد يسوع،

ولم يَعُد إلى المجمع،

بل سينصرف إلى طريقٍ آخر،

وسيكون تلميذًا ليسوع دون خفيةً، ودون خوف.

وردَت هذه الصفة ليوسف في بشارتي مرقس ولوقا (مر ١٥: ٤٣؛ لو ٢٣: ٥٠). صحيح أن الكتاب المقدس واحد، لكن كما نعرف كل بشير له طابعه الخاص. فمرقس يُظهر الرب يسوع كالعبد أو الخادم القادر أن يتمم إرادة الله على الأرض إتمامًا كاملاً، كما أنه يشير إلى الرب يسوع كالنبي. بينما لوقا يُظهره كابن الإنسان أو الكاهن.

ومرقس، من أعمال ١٣: ١٢ نعرف أنه كان خادمًا لخدام الرب، فعندما وصل بولس وبرنابا إلى سلاميس «وكان معهما يوحنا خادمًا»، ويوحنا هو نفسه مرقس الذي صلوا في بيته (أع ١٢: ١٢). ثم جاء- والكلام عن بطرس بعدما أخرجه ملاك الرب من السجن- وهو منتبه، إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس حيث كان كثيرون مجتمعين وهم يصلُّون. لذا هو يصور لنا الرب في بشارته كخادم ليُظهر لاهوته أيضًا، فهو الخادم وهو رب المجد.

بينما لوقا الطبيب يُظهره كابن الإنسان أو الكاهن، وكما ذكرنا فقد كتب لليونانيين المشهورين بالفلسفة والأدب والحضارة والاعتماد على البراهين. وفي مقدمة إنجيل لوقا نرى الفحص والاستقصاء باعتباره طبيبًا، ثم وجّه الكلام إلى ثاوفيلس (لو ١: ٣) «رأيت أنا أيضًا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس». وعبارة «أيها العزيز» كانت تعني صاحب المنصب الحكومي الرفيع، وكان في مكانة مشير.

فلقب مشير لقب سامٍ رفيع، وهي مهنة يمتهنها الحكماء، وهي تقديم المشورة في المواقف الصعبة للعظماء سواء أثرياء أو ملوك. وغالبًا ما يكون المشير قريبًا من الملوك أو الحكام، كما كان الحال مع يوسف الرامي هنا، ولذا بسهولة يدخل إلى بيلاطس «تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع، فأمر بيلاطس حينئذ أن يُعطى الجسد" (مت ٢٧: ٥٨).

كما إن هذا اللقب يعني أنه كان عضوًا في السنهدرين الذي يمثل الشعب أمام الرومان، والذي يتكون من ٧١ عضوًا يتشاورون باعتبارهم المحكمة العليا للأمة اليهودية: ٧٠ منهم مثل عدد الشيوخ الذين عاونوا موسى (عد ١١: ٢٥)، والحادي والسبعون هو رئيس الكهنة. ونحن نعلم أن عمل السنهدرين توقف بعد سنة ٧٠ ميلادية بعد خراب أورشليم على يد تيطس الروماني.

والكتاب يعلن أن يوسف حضر جلسات مجلس السنهدرين، لكنه «لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم» (لو ٢٣: ٥١). وغالبًا ما امتنع عن الحضور بعدما عقدوا النية لقتل الرب يسوع.

ونقرأ كثيرًا عن مشيرين في الكتاب. فقد كان لداود مشيرون، منهم «يهوناثان عم داود كان مشيرًا ورجلًا مختبرًا وفقيهًا (١أخبار ٢٧: ٣٢)، وأخيتوفل الجيلوني مشيرًا لداود (٢صم ١٥: ١٢)، لكنه لم يكن مخلصًا لداود وتحول إلى أكبر مشيري أبشالوم في أثناء عصيانه على أبيه، وأصبح من بين الفاتنين مع أبشالوم (٢صم ١٥: ٣١).

فاسم «أخيتوفل» معناه "أخو الجهل أو الغباء"، وكان رجلاً من جيلوه في أرض يهوذا، وهو أبو اليعام أحد أبطال داود (٢صم ٢٣: ٣٤). ويرجّح أن

اليعام ابنه هو أبو بثشبع امرأة أوريا الحثي، وعليه يكون أخيتوفل جد بثشبع. وكان مشيرًا لداود، وربما تغيّر الحال معه من جهة داود بسبب فعلته مع بثشبع، لكنه تحيّن الفرصة وقت عصى أبشالوم على داود أبيه.

وكم حزن الملك لخيانة مشيره أخيتوفل الذي يعرف كل كبيرة وصغيرة عن تحركات داود وخططه. لذا صلّى داود للرب وطلب: «حمِّق يا رب مشورة أخيتوفل» (٢صم ١٥: ٣١). آكل خبز داود الذي رفع عليه عقبه، تمامًا كيهودا الإسخريوطي الذي باع سيده وكان من تلاميذ الرب يسوع، لكنه رفع عليه عقبه.

والعجيب أن نهاية أخيتوفل تشبه نهاية يهوذا الذي «مضى وخنق نفسه» (مت ٢٧: ٥)، ويكمل «سقط على وجهه وانشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها» (أع ١: ١٨). أما أخيتوفل مشير داود، الذي انضم إلى أبشالوم ضد الملك داود، فعندما اتبع أبشالوم مشورة حوشاي ولم يسمع مشورته، حزن على نفسه: «وشد على الحمار وانطلق إلى بيته، وأوصى لبنيه وخنق نفسه فمات» (٢صم ١٧: ٢٣). هذا هو أخيتوفل المشير، أخو الجهل والغباء.

وفي ١ملوك ٢ نرى أدونيا يخاطب بثشبع لكي ترفع طلبه إلى الملك سليمان ابنها، وهو "أن تُعطى أبيشج الشونمية امرأةً له". وغالبًا كان يوآب وراء هذه المشورة أو هذه الحيلة ليصبح لأدونيا الحق في خلافة أبيه داود، في حال انقلاب أبياثار الكاهن ويوآب بن صروية على سليمان وقتله، لأنه لو أخذ أدونيا أبيشج يكون أخذ امرأة الملك داود، وله حق الخلافة لأبيه فيما بعد. وهو الذي ترفع قبلًا بعد موت داود أبيه وقال: «أنا أملك» (١مل ١: ٥).

وفَهم سليمان خطة أدونيا، وأن الذي أشار عليه بها هما يوآب وأبياثار الكاهن، لذا قال لبثشبع أمه: «لماذا أنتِ تسألين أبيشج لأدونيا؟ فاسألي له المُلك، لأنه أخي الأكبر مني! له ولأبياثار الكاهن، وليوآب بن صروية» (١مل ٢: ٢٢). فزعيم المؤامرة أو المشورة هو يوآب، وكانت مشورته هلاكًا لهلاك أدونيا وأبياثار.

وهناك مَن يقدم مشورة بهيمية. نعم، ففي إشعياء ١٩: ١١«إن رؤساء صوعن أغبياء! حكماء مشيري فرعون مشورتهم بهيمية!». فهم حكماء حكمة إنسانية، لذا مشورتهم بهيمية.

وفي ٢أخبار ٢٢ نرى أخزيا الابن الأصغر ليهورام، وقد ملّكه سكان أورشليم بعدما استُبقي من بين إخوته بعد القضاء المرعب على أبيه. لكنه بدلًا من أن يتعظ ويطلب الرب، نراه يتحد مع أمه عثليا المرأة الشريرة شديدة القسوة مشيرة له. وبالتالي، امرأة شريرة، فماذا يُتوقّع منها أن تشير على ابنها أخزيا؟

يقول الكتاب: «كان أخزيا ابن اثنتين وأربعين سنة حين ملك، وملك سنة واحدة في أورشليم، واسم أمه عثليا بنت عمري. وهو أيضًا سلك في طريق بيت أخآب لأن أمه كانت تشير عليه بفعل الشر» (٢أخبار ٢٢: ٢، ٣). وعندما أراد أن يبحث عن مشيرين آخرين لم يذهب بعيدًا، بل «عمل الشر في عيني الرب مثل بيت أخآب، لأنهم كانوا له مشيرين بعد وفاة أبيه لإبادته، فسلك بمشورتهم» (٢أخ ٢٢: ٤). لقد كانوا يتظاهرون أنهم ناصحون، لكن كانت دوافعهم إسقاط مملكة يهوذا.

وهل ننسى مشورة إيزابل الشريرة لأخآب (١مل ٢١)، حين قالت: «أنا أعطيك كرم نابوت اليزرعيلي» (١مل ٢١: ٧)، وترك أخآب الأمر لها. فهو رجل ضعيف وغير سعيد، مع أنه ملك ويقيم في قصر، وكل شيء تحت سلطانه. لكن رغبته في كَرْم نابوت سرقت بهجته، وكان الحل في يد امرأته الشريرة، فحققت مرغوبته بخطة رديئة. وعادت وقالت له: «قُم رِث كرم نابوت اليزرعيلي الذي أبى أن يعطيك إياه بفضة، لأن نابوت ليس حيًا، بل هو ميت» (١مل ٢١: ١٥). يقينًا أُعجب أخآب بمشورة إيزابل، لكن يا لهول النتائج الوخيمة التي حصدها حين نزل إليه إيليا التشبي في كرم نابوت، وأعلمه قضاء الله: «مَن مات لأخآب في المدينة تأكله الكلاب، ومن مات في الحقل تأكله طيور السماء» (١ملوك ٢١: ٢٤). وعن إيزابل فكان القضاء: تأكل الكلاب إيزابل عند مترسة يزرعيل.

هذه بعض عينات من مشيرين، كانت مشورتهم بهيمية أو شريرة أو مُغرِضة. لكن العجب أيضًا أن هناك مَن يتخذ من الموتى مشيرين!!! نعم.

مع أننا نقرأ في تثنية ١٨: ٩- ١٢ ثمانية أرجاس يحذر منها الرب، لكن شعب الرب وقع فيها رغم التحذير، وللآن يقع فيها بعض من دُعي عليهم اسم المسيح، بل قد زاد عليها أمور جديدة يعتبرونها علمًا وهي خطية صريحة طبقًا للمكتوب مثل التنويم المغناطيسي أو قراءة الكف أو فراسة الوجه وغيرها.

فالكتاب يعلن: «لا يوجد فيك مَن يجيز ابنه أو ابنته في النار، ولا مَن يعرف عِرافة، ولا عائف، ولا متفائل، ولا ساحر، ولا من يرقي رُقية، ولا مَن يسأل جانًا أو تابعة، ولا من يستشير الموتى» (تثنية ١٨: ١٠، ١١).

صحيح إننا نركز على «مُشير»، وهنا كلام عن مَن يستشير الموتى. لكن ألا يوجد كثير ممن دُعي عليهم اسم المسيح اعتادوا هذه الأمور المكروهة عند الرب؟ ألا تعرف كثيرين يذهبون للسحرة أو العرافة، أو مَن يسألون أيضًا الجان أو يستشيرون الموتى؟ ألا تعرف كثيرون يشتركون في عملية التنويم المغناطيسي أو استحضار الأرواح؟ كل هذه خطية صريحة حسب المكتوب، والأشخاص الذين يجعلون من الموتى مشيرين لهم، هم يُسلّمون أنفسهم ليد الشيطان الخداع الكذاب.

والسؤال: ما هي حاجتهم لكل هذا، وعندهم بين أيديهم الإعلان الكامل: كلمة الله المقدسة؟!

أخي، إذا كنت من هؤلاء، عليك أن تحتَرس قبل أن يُسلمك الله قضائيًا إلى ذهنٍ مرفوض لأنك لم تستحسن أن تُبقِ الله في معرفتك (رو ١: ٢٨) «وكما لم يستحسنوا أن يُبقوا الله في معرفتهم، أسلمهم الله إلى ذهنٍ مرفوض ليفعلوا ما لا يليق».

والذهن المرفوض هو ذهن غير مميز، إنه يريد مشير، لكنه بلا إله، فيلجأ لاستشارة الموتى والأفعال الأخرى المكروهة عند الرب. لكن ما أروع أن نعرف أن ربي يُدعى اسمه مشيرًا (إش ٩: ٦): «لأنه يولد لنا ولدٌ ونعطى ابنًا، وتكون الرياسة على كتفهِ، ويدعى اسمه عجيبًا، مشيرًا، إلهًا قديرًا، أبًا أبديًا، رئيس السلام». نعم، فهو المكتوب عنه: «لي المشورة والرأي. أنا الفهم. لي القدرة» (أم ٨: ١٤). وبولس يتغنى: «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء! لأن مَن عرف فكر الرب؟ أو من صار له مشيرًا؟» (رو ١١: ٣٣، ٣٤).

إن كنيسة لاودكية (رؤ ٢٢: ١٦، ١٨) تمثل الشكل الأخير لتاريخ الكنيسة النبوي على الأرض حيث اللامبالاة والفتور وعدم التكريس للرب يسوع المسيح، والتساهل مع الشر العملي والتعليمي حتى إن الرب يقول: «أنا مزمع أن أتقيأك من فمي». لكن المشير في حكمته ونعمته وطول أناته ورحمته يقدم للاودكي المشورة المقدسة: «أشير عليك أن تشتري مني ذهبًا مصفى بالنار لكي تستغني، وثيابًا بيضاء لكي تلبس، فلا يظهر خزي عريتك. وكحِّل عينيك بكحل لكي تبصر».

نعم، هذا هو إلهنا المشير المحب حتى للاودكي الذي تركه خارج الباب، يقرع في كل نفس تنتبه إلى سماع صوته وتفيق من الفتور وتقبل مشورة المشير المحب. ولن تخسر شيئًا، بل ستستغني: «لكي تستغني»، وستلبس ثيابًا بيضاء فلا يظهر خزي عريتك، بل سيكحل عينيك بكحل لكي تبصر. فهل تفعل؟

أما عن يوسف الرامي، فبكل يقين هذا المشير لم يعد جليس الملوك والحكام بعدما «دخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع» (مر ١٥: ٤٣). وقطعًا لم يعد عضوًا في مجمع السنهدرين بعدما أنزل جسد الرب يسوع ووضعه في قبره المنحوت.

آه يا يوسف، لم تعد مشيرًا فقط، بل خسرت كل الأشياء! هذا في نظر العالم. أما عين الإيمان فكانت تقول مثل ما قاله بولس «ما كان لي ربحًا، فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة. بل إني أحسب كل شيء أيضًا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء، وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح وأوجد فيه» (في٣: ٧- ٩).

وعبارة «**من أجله خسرت**» تعني: عانيت خسارة. وهناك فرق بين احتساب كل الأشياء خسارة، وبين المعاناة وتحمُّل الخسارة. ونحن نعلم أن بولس اختبر الأمرين، لكن أيضًا يقينًا يوسف الرامي اختبر الأمرين وحسب ما حسبه بولس للربح والخسارة. فقد خسر الكثير. فبعد خروجه شبه مطرود من مجمع السنهدرين بعدما أخذ جسد الرب يسوع ودفنه في قبره، لم يقف الأمر فقط عند هذا الحد، بل خسر وظيفته كمشير وما لها من مكاسب أدبية ومادية. ويقينًا كان متوقعًا ومستعدًا أن يخسر كل شيء لكي يربح المسيح. لقد استحوذ الرب يسوع على قلبه.

وفي دراستنا لمائدة خبز الوجوه (خر ٢٥: ٢٣) نرى الحماية الإلهية لمَن التصق بالرب. فكلمة «مائدة» لم تُذكر في الكتاب قبل ورودها في خروج ٢٥. وأول فكر توحي به المائدة هو الشركة «وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١يو ١: ٣). ففي المائدة نرى أن للمؤمن شركة مع الآب ومع ابنه. ويكمل يوحنا في رسالته: إن في هذه الشركة يكمل فرحنا «لكي يكون فرحكم كاملاً» (١يو ١: ٤). فشركة المؤمنين مع الآب ومع الابن تعطينا الفرح الكامل. فلم يكن غرض الله أن يقيم مسكنًا وسط الشعب فقط، بل أن يجعل لهم بيتًا ووليمة يشبعهم ويفرحهم بمَن هو موضوع فرح قلبه.

لكن ما يريح القلب في دراستنا للمائدة بحسب الربح والخسارة للمؤمن، هو أن المائدة حولها إكليل من ذهب وحاجب، وحول الحاجب إكليل من ذهب أيضًا (خر ٢٥: ٢٤، ٢٥): «وتصنع لها إكليلاً من ذهب حواليها.

وتصنع لها حاجبًا على شبر حواليها، وتصنع لحاجبها إكليلاً من ذهب حواليها». ولنا في هذا التأمل ما يخص الرب يسوع، وآخر يخصنا نحن المؤمنين. فنرى أولاً المجد الإلهي المحيط بشخص ربنا يسوع المسيح، والحرص الدقيق الذي به يحامي الله عن الحق المتعلق بأقنوم الابن الوحيد.

كما إنه يرينًا أيضًا أن شركة المؤمنين مع الآب في الشبع بابنه مصونة، والمؤمنون أنفسهم في البرية مصونون ومحفوظون بكل عناية. فالشبر من ذهب يرينا يد الله الحافظة لاستمرار شركتنا مع الابن. ولا ننسى أنه عند حمل المائدة في البرية عند الارتحال كانت تُغطى بجلود التُخس (عد ٤: ٧). وعلى مائدة خبز الوجوه يبسطون من فوق ثوب أسمانجوني، ويبسطون ثوب قرمز، ويغطون بغطاء من جلد تُخس.

ولجلود التُخس أيضًا وجهان: فمن جهة، هي تشير إلى كمال انفصال الرب يسوع المسيح في حياته عن كل شر ودنس. لكن أيضًا جلد التُخس لم يكن له منظر جذاب لعيون الناس. وفي هذا إشارة للرب يسوع في عيون الناس: «لا صورة له ولا جمال... ولا منظر».

لكن يلاحظ أيضًا أن جلود التُخس بلا مقاسات محددة، لأن كمالات الرب يسوع لا حدود لها. لكن من الوجهة الأخرى نرى جلود التُخس كانت بمثابة وقاية وحماية للأرغفة التي على المائدة من السقوط أو وصول العوامل الجوية والتأثيرات الخارجية لما على المائدة أثناء الارتحال، فهي تصونها كإشارة إلى قوة الله في حفظنا وحمايته لنا من كل شر ودنس في البرية بعمل الرب يسوع.

وكأن يوسف الرامي الذي كان مشيرًا، وقد فقدَ وضعه الاجتماعي المرموق بعد طلبه جسد الرب يسوع، كسب مكسبًا لا يمكن إدراك أبعاده. لقد صار في شركة حقيقية مع المؤمنين، ويتمتع بحماية إلهية وبالستر طول البرية .

فيوسف الرامي يقينًا، وهو شخص حكيم، وهذه الصفة من أهم صفات مَن يصل إلى أن يصبح مشيرًا، **حسَب حساب ما فعل**، واختار أن يصبح تلميذًا علنًا ليسوع وتابعًا له، يتمتع بكل ما يتمتع به كل ابن للرب يسوع، عن أن يكون عضوًا في السنهدرين. إن قُربه من الرب يسوع وأتباعه، **أفضل له بما لا يقاس من قربه للملوك والعظماء الزائلين.**

فمشير هي وظيفة وقتية ترتبط بملوك وعظماء زائلين، أما ارتباطه بالرب يسوع ففيه ضمانات أبدية، فاختار ثقل المجد الأبدي عن الأمور الحاضرة. **وهذه هي الحكمة وحسن الاختيار**.

ملحوظة:

لا تذكَر جلود التُخس مرة أخرى بالكتاب إلا في حزقيال ١٦: ١٠ حيث يقول الرب لعروسه الأرضية: «ألبستك مُطرزةً، ونعلتك بالتُخس».

سادسًا: **شريف**

لم ترِد هذه الصفة إلا في إنجيل مرقس: «ولما كان المساء... جاء يوسف الذي من الرامة، مشيرًا شريفًا» (مر ١٥: ٤٢، ٤٣).

ومن الواضح أن هذا الإنجيل هو إنجيل خدمة المسيح، وما أروع الإعلان الذي أُعلن في أول عدد في هذا الإنجيل: «بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله» (مر ١:١)، ليُعلن أن الخادم في الجسد هو ابن الله، ويؤكد على عظمة شخصه، يشير إلى أن هذا الخادم له سفير "يهيئ له الطريق". وحتى نهاية إنجيل مرقس أن الذي خدم وسطنا ما زال يعمل معنا ويخدمنا: «ثم إن الرب بعد ما كلمهم ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله. وأما هم فخرجوا وكرزوا في كل مكان، والرب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة. آمين» (مر ١٦: ١٩، ٢٠). فهو له كل المجد، الخادم شريف الجنس.

فكون إنجيل مرقس هو الذي يشير إلى يوسف الرامي بأنه شريف ليُعلن أنه قدّم لنا خدمة جليلة حين دخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع لأنه من الشرفاء.

وكلمة «شريف» تعني له كرامة ولا يحابي أي وجه، وهذا واضح عندما كان أمام مجمع السنهدرين «لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم» (لو٢٣: ٥١) عندما كانوا يطلبون أن يقتلوا المسيح. فإنه شريف لم يقبل محاباة الوجوه

في الحكم رغم أنهم الأغلبية، لأنه مكتوب في أمثال ٢٤: ٢٣ «محاباة الوجوه في الحكم ليست صالحة». هذا لأن كثيرًا من الناس يريدون أن يرضوا الآخرين على حساب الحق، أما الشرفاء «لا تنظروا إلى الوجوه في القضاء» (تث ١: ١٧) لأنهم لا يحابون الوجوه.

وفي كولوسي ١: ٢٦ «فانظروا دعوتكم أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون **شرفاء**»، وذلك حتى لا تكون الدعوة مبنية على استحقاق. لكن "ليس كثيرون" تعني أنه يوجد مدعوون من كل فئة، لأن نعمة الله تستطيع أن تخلص هؤلاء وأولئك. فهناك أغنياء وحكماء وشرفاء اختارهم الله مع الجهال والضعفاء والأدنياء والمزدَرين. وسواء الشرفاء أو الأدنياء بعد الدعوة والاختيار يشهدون أن حكم العالم باطل، وأن الجميع قد صاروا شرفاء بعدما سَما مقامهم بانتسابهم للرب يسوع المسيح. فالرب «المُقيم المسكين من التراب، الرافع البائس من المزبلة ليُجلسه مع أشرافٍ، مع أشرافِ شعبهِ» (مز١١٣: ٧، ٨) وهذه هي النعمة المتفاضلة.

إننا كنا بالطبيعة مطروحين على وجه الحقل، مذلّين، آخر ما كنا نشتهيه أن نملأ بطوننا من خرنوب الخنازير. لكن القدير أقامنا من التراب ليجلسنا مع أشراف شعبه، رفعنا من المزبلة بذراعه الرفيعة التي رفعتنا ولا زالت ترفعنا. وبعد أن أجلسنا مع شعبه الذين كلهم أشراف، لم يكتفِ بهذا، بل قريبًا وقريبًا جدًا سنجلس مع شريف الجنس الذي «ذهب إلى كورةٍ بعيدة ليأخذ لنفسه ملكًا ويرجع» (لو ١٩: ١٢)، وقد أعطانا وصية: «تاجروا حتى آتي». نعم، دُعينا للخدمة لأننا جميعًا "قوم شريف".

لقد أوصى الرب تلاميذه في نهاية إنجيل الخادم: «اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها» (مر ١٦: ١٥)، وهي نفسها الدعوة بالمتاجرة حتى يأتي.

وفي مزمور ١١٠: ٢، ٣ «يرسل الرب قضيب عزك من صهيون. تسلَّط في وسط أعدائك. شعبك منتدبٌ في يوم قوتك، في زينة مقدسة من رحم الفجر، لك طل حداثتك».

بعدما أوصى الرب تلاميذه بالمتاجرة حتى يأتي، وأن يكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، وبعد انتهاء تدبير النعمة سيأتي الرب ليملك. وهنا نقرأ نداء موجه للرب يسوع الذي جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله: «تسلَّط في وسط أعدائك». نعم، فسيأتي له كل المجد بالقوة ليملك، فتخضع الشعوب له.

ثم يُكمل المرنم: «شعبك منتدبٌ في يوم قوتك». فالملك الذي رُفض من شعبه، له عدد كبير من رعيته الذين قبلوه وأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنين باسمه. لقد افتداهم لنفسه ليكونوا له شعبًا خاصًا: «شعبك منتدبٌ»- أي الشعب العامل مشيئته بسرور، أو عميناداب، أو كما جاء في نشيد ٦: ١٢ «قومِ شريفٍ».

وتدبيريًا سيأتي الرب إلى شعبه مرة أخرى، وكم سيكون سروره عظيمًا عندما يرى ثمرًا وتوبة حقيقية فيهم. فالذي نزل من السماء وجاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله، سيأتي إليهم مرة أخرى «نزلت إلى جنة الجوز لأنظر إلى خضر الوادي، ولأنظر: هل أقعل الكرم؟ هل نوَّر الرمان؟» (نش ٦: ١١). وسيرى توبة حقيقية، يرى ثمار نعمته الغنية الصابرة،

فيحمله المشهد بفرحة واندهاش، فيأتي القول: «فلم أشعر إلا وقد جعلتني نفسي بين مركبات قوم شريف» (نش ٦: ١٢)، أو مثل عميناداب- أي شعب مُنتدبٌ.

فيوسف الرامي شريف ضمن شرفاء قليلين حين كان الرب يسوع وسط شعبه، لكنه عينة لقوم شريف بعدما يعود الرب ويفتقد بقية من شعبه، لتصبح نواة إسرائيل الألفي.

وإذا أخذنا نشيد ٦: ١١ أن العروس هي التي "نزلت إلى جنة الجوز وتفقدت الكروم وأشجار الرمان"، فهذا يشير إلى اهتمامها بالخدمة وبعمل الرب. ويأتي القول: «فلم أشعر إلا وقد جعلتني نفسي بين مركبات قوم شريف»، وكأن الحبيب حملها ليُجلسها في مركبته، وإذا بها تجد مركبات حولها كثيرة، وكل راكبيها هم «قوم شريف» يخدمون السيد طوعًا، وهذا معنى "شريف" أو "منتدب".

لكن شريف أيضًا تعني- مما تعني -من الوجهاء أو من عائلات ذات المركز. ففي أعمال ١٣: ٥٠ بعدما انتشرت كلمة الرب في بنفيلية ثم أنطاكية بيسيدية نتيجة لكرازة بولس وبرنابا، الأمر الذي أهاج اليهود ضدهما، «حركوا النساء المتعبدات الشريفات **ووجوه المدينة**، وأثاروا اضطهادًا على بولس وبرنابا، وأخرجوهما من تخومهم».

والمقصود بالنساء المتعبدات الشريفات هنا: هن سيدات من الأمم كن قد تركن الوثنية ونجاساتها وجهالاتها، وبدأن في حضور المجامع اليهودية وتهوَّدن، ولذا كن طائعات لمعلمي الشريعة من اليهود، فكان من السهل

التأثير عليهن وإثارتهن ضد شهادة الإنجيل بحجة أنه يبطل عمل الناموس. كما كان من الأمور اليسيرة، التأثير على وجوه المدينة وأشرافها الذين كان لهم ارتباط بهؤلاء النساء المتعبدات الشريفات، فاتحدوا معًا في طرد بولس وبرنابا. ولأنهن شريفات وأغنياء، كان لهن تأثير قوي على الجموع، مما دعا بولس وبرنابا أن ينفضا غبار أرجلهما عليهم ويأتيا إلى أيقونية.

فهنا العدو جنَّد «النساء المتعبدات الشريفات»، واستغل وضعهن الاجتماعي وقوة تأثيرهن ضد تلاميذ الرب يسوع.

كما لا ننسى استخدام إيزابل الشريرة للأشراف الساكنين في مدينة نابوت ليشهدوا زورًا على الرجل نابوت اليزرعيلي ويرجموه. فهم أشراف لكن أجَّروا أنفسهم ليكونوا آلات طيعة في يد هذه المرأة الشريرة، التي رأت في قول نابوت لأخاب: «حاشا لي من قِبَل الرب أن أعطيك ميراث آبائي»، أنه قول يحتاج لتأديب، لا سيما أن أخآب الملك عرض على نابوت عرضًا سخيًا في نظرها: «أعطيك عوضه كرمًا أحسن منه. أو إذا حَسُن في عينيك أعطيتك ثمنه فضة» (١مل٢١: ٢). فاعتبرت أن طلب زوجها، الذي قوبل بالرفض، لا يقابله إلا البطش لتحقيق الغاية.

مع أن ما عمله نابوت ليس ضيق أفق أو تعنت أو تمسكًا بحقوقه، لكنه التمسك بوصية الرب: «الأرض لا تُباع بتةً، لأن لي الأرض، وأنتم غرباء ونزلاء عندي» (لا ٢٥: ٢٣).

وعبارة «لا تباع بتةً» تعني لا تباع دائمًا أو نهائيًا، قد تؤجر أو تعطى مؤقتًا لكنها تعود إلى صاحبها في سنة اليوبيل- أي في حالة أن يفتقر رجل ويبيع أرضه أو يؤجرها، فالرب في رحمته سمح بذلك لكن لفترة، ثم في سنة

اليوبيل تعود الأرض إلى مالكها الأصلي. ونابوت لم يعوز ولم يفتقر، فلماذا يبيع أرضه؟ فرفض.

ويقينًا أخآب يعرف ما جاء في لاويين ٢٥، لكنه لا هو ولا زوجته الشريرة لهما علاقة بالمكتوب، فهما عابدا أوثان. نعم، فأخآب أشر ملوك إسرائيل، وأدخل هو وزوجته إيزابل ابنة ملك الصيدونيين عبادة البعل، وقادوا الشعب للوثنية. وقد غلب في شره شر يربعام بن نباط أول ملوك إسرائيل، والذي صنع العجلين الذهبيين، ولُقّب في الكتاب كثيرًا «يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطئ»، فقد ذكرت عنه ٢١ مرة.

ولكن في أعمال ١٧: ١١، ١٢، بعد أن ترك بولس وسيلا تسالونيكي، ووصلوا إلى بيرية «لما وصلا مضيا إلى مجمع اليهود. وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي، فقبلوا الكلمة بكل نشاط، فاحصين الكتب كل يوم: هل هذه الأمور هكذا؟ فآمن منهم كثيرون، ومن النساء اليونانيات الشريفات، ومن الرجال عدد ليس بقليل».

وفي هذا نرى، أنه ما جعل هؤلاء الأشراف النبلاء لهم تأثيرهم على بعضهم، سواء النساء اليونانيات الشريفات أو الرجال الكثيرين، هو خضوعهم للمكتوب وفحصهم للكتب، فلم يقدر الشيطان أن يسوقهم، ولم يقدر اليهود الحاقدون أن يحركوهم كما حدث في أعمال ١٣: ٥٠.

فقد يستغل الشيطان المركز الاجتماعي أو الثراء أو قوة التأثير لمحاربة أتباع يسوع، إن لم يكن لهم عمق ومعرفة بالمكتوب. أما إذا كان للأشراف والنبلاء معرفة بالرب يسوع، كما قيل عن يوسف الرامي: "شريف، تلميذ ليسوع"، فكل غناه ومركزه سيطوَّع لخدمة الرب يسوع.

في سفر العدد أصحاح ٢١، وبعد لدغة الحيات المحرقة لبني إسرائيل المحرقة، نتيجة لتذمرهم على الله واستخفافهم بالمنّ، حين قالوا: «كرهت أنفسنا الطعام السخيف» (عد ٢١: ٥)، نقرأ عن ارتحالات متتالية لهم، ونراهم يترنمون رغم وجود الأموريين والموآبيين والعمونيين، وذلك لأنهم رفعوا عيونهم عن المنظور ونظروا إلى الحية المعلقة، ووقف سُّم الحيات في الملدوغين، وتم الشفاء، ووصل الرب بهم إلى بئر: «حيث قال الرب لموسى: اجمع الشعب فأعطيهم ماء. حينئذ ترنم إسرائيل بهذا النشيد: اِصعدي أيتها البئر! أجيبوا لها. بئر حفرها رؤساء، حفرها شرفاء الشعب، بصوْلجان، بعصيهم» (عد ٢١: ١٦- ١٨).

فهنا ترنيمة الشفاء تشير إلى **رؤساء شرفاء** حفروا بئرًا بعصيهم، ولم يقل "بصولجانهم"، لكنه قال عن العصي: "بعصيهم". فمَن هم الشرفاء؟ وما هي العصي التي تحفر بئرًا؟!

البئـــر تشير للارتواء، والارتواء لا يأتي إلا بعدما يكمل الرب يسوع العمل ويقوم ظافرًا منتصرًا ويرسل الروح القدس يوم الخمسين، وتتكّون الكنيسة. لذا يأتي القول: "اِصعدي أيتها البئر"، ثم "أجيبوا لها"، تعلن استجابة كثيرين وتجاوبهم مع الدعوة. ففي يوم الخمسين وقف بطرس وقدم الدعوة: «توبوا، وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس... فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا، وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس» (أع ٢: ٣٨- ٤١). وبعدما تجاوبوا «كان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون». هؤلاء هم عينة من الرؤساء الشرفاء الذين رفعتهم النعمة.

لكن السؤال: كيف للرؤساء والشرفاء أن يحفروا بعصيّهم؟! العصا في الكتاب ترمز للمواعيد التي يستند عليها الشرفاء. فكما يستند المسافر أو الشيخ أو الضعيف على عصاه، هكذا نحن روحيًا استنادنا الكلي على الرب وكلمته. ففي عبرانيين ١١: ٢١ «بالإيمان يعقوب عند موته بارك كل واحد من ابني يوسف، وسجد على رأس عصاه». ويعقوب هو الوحيد من بين الآباء انتهت حياته مسجَّل عنه أنه «سجد على رأس عصاه». وفي إشارة إلى تغيير حال يعقوب من اتكاله على ذراعه وتخطيطه، إلى الاتكال والتسليم الكامل للرب ومواعيده في نهاية حياته.

والرب قال لموسى: «تأخذ في يدك هذه العصا التي تَصنع بها الآيات» (خر ٤: ١٧). لقد كانت العصا بيد موسى ٤٠ سنة كراعٍ غنم، لكنها الآن عصا الله: «وأخذ موسى عصا الله في يده» (خر ٤:٢٠). وبهذه العصا ضُربت الصخرة ليفجر الماء ليروي العطش، وبهذه انشق بحر سوف، وبهذه انتصر موسى على عماليق (خر ١٧: ١١).

نعم، الشرفاء يحفرون الآبار للارتواء بالعصي، بكل ما تحمله العصي من معانٍ: العصي تشير للسلطان الممنوح لنا، كما إلى التعزية والرعاية والحماية والقيادة: «عصاك وعكازك هما يعزيانني» (مز ٢٣: ٤). أو أيضًا تشير إلى المواعيد والتشكيل: «ارْعَ بعصاك شعبك» (ميخا ٧: ١٤). كما تشير أيضًا إلى سلطان الرب في القضاء، سواء على الشر في شعبه، أو القضاء على مَن يعادي شعبه «لا تخف من أشور يا شعبي الساكن في صهيون... لأنه بعد قليل جدًا يتم السخط... وعصاه على البحر، ويرفعها على أسلوب مصر» (إش ١٠: ٢٤- ٢٦):

نعـــم، نحـن بالإيمـان شرفـاء نحفـر الآبـار للارتـواء بالعـصي، وهـذه العـصا «تصنع الآيات» (خر ٤: ١٧).

فالحَفْر والتعمق في كلمة الله هو الذي

جعل أهل بيرية أشرف من الذين في تسالونيكي،

وجعل يعبيص أشرف من إخوته،

وجعل يوسف الرامي **أشرف** من أعضاء السنهدرين الذين لم يريدوا أن يتعمقـوا ويعرفـوا المكتـوب، بـل اتفقـوا فيمـا بينهم كيـف يقتلـون يسوع بمكر.

الخدمة الحقيقية

هي في دعوة اللّه المحددة للفرد،

والدافع الصحيح هو تمجيد اللّه

في كل وجه من أوجه الخدمة.

سابعًا: منتظر ملكوت الله

وردت هذه العبارة عن يوسف الرامي في (مر١٥: ٤٣؛ لو ٢٣: ٥١)، لكنها لم ترد في بشارة متى أو إنجيل يوحنا. ذلك لأن مرقس ولوقا كلاهما يكتبان للأمم، ودائمًا يذكران لفظ الجلالة «الله» لإعلان سلطان الله على الأمم باعتبار أنهم كانوا قبلًا عابدي أوثان.

وكان اليهودي التقي الذي يعرف الكتب، ينتظر المسيّا يأتي ليملك. واليهودي غير التقي يعرف أن المسيّا سيأتي ليملك لكنه لا ينتظر ملكوت الله، وهذا ما سنعرفه عند الكلام عن اللص التائب.

والآيات في العهد القديم كثيرة التي تشير إلى مُلك المسيّا، مثلاً (إش ٣٢: ١) «هوذا بالعدل يملك مَلِك، ورؤساء بالعدل يترأسون». ومنتظرو مُلك المسيّا فهموا الكلام عن المسحة والملك، مثلًا في مزمور ٢: ٦ «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي».

لكن كثيرًا منهم درَس المكتوب وعرف أن الآلام التي للمسيح قبل الأمجاد التي بعدها. فمثلًا (إش ٥٣: ٥): «وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا. تأديب سلامنا عليه، وبحُبُره شفينا». فكانوا يبحثون عن الوقت الذي يتم فيه هذا الكلام. وإلا لمَا قال الرب لتلميذي عمواس: «أيها الغبيان والبطيئا القلوب في الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء! ... ثم ابتدأ

من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لو٢٤: ٢٥- ٢٧). لقد آمنوا بالملك ولم يؤمنوا بالصليب أو بالآلام قبل الأمجاد، مع أن الكتب التي بين أيديهم تعلن هذا. لكن كان هناك مَن فهم الكتب ودرس النبوات، وعرف منها أن الوقت قرب وانتظر ملكوت الله، ويوسف الرامي واحد منهم.

فمثلًا في لوقا ٢: ٢٥، ٢٦ نقرأ عن سمعان: «كان رجل في أورشليم اسمه سمعان، وهذا الرجل كان بارًا تقيًا ينتظر تعزية إسرائيل، والروح القدس كان عليه، وكان قد أوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب».

وفي نفس الأصحاح (لو ٢: ٣٦- ٣٨) نقرأ عن حنّة النبية: «وكانت نبية، حنّة بنت فنوئيل من سبط أشير، وهي متقدمة في أيام كثيرة، قد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها .... في تلك الساعة وقفت تُسبح الرب، وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم».

فسمعان الشيخ عرف بالرؤيا وأتى بالروح إلى الهيكل، وحنّة النبية أرشدها الروح القدس فسبّحت الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء في أورشليم. فكثيرين كانوا ينتظرون ملكوت الله، وهذا من دراستهم للنبوات، لا سيما أسابيع دانيال.

فقد فتشوا «باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح، والأمجاد التي بعدها» (١بطرس ١: ١١). ففي دانيال ٩: ٢٦: «وبعد ٦٢ أسبوعًا يُقطع المسيح وليس له». ولكي يُقطع لابد أن يأتي أولًا ثم يُقطع في نصف أيامه،

فمكتوب في مزمور ١٠٢: ٢٤: «يا إلهي، لا تقبضني في نصف أيامي»، وهي نبوة عن موت المسيح. وأيام الإنسان بحسب مزمور ٩٠: ١٠ سبعون سنة، فنصف الأيام هي ٣٥ تقريبًا، وهي مدة حياة المسيح على الأرض.

وبحسب نبوة دانيال ٩ فالأمر بتجديد أورشليم وبنائها، الأمر المُعطى لنحميا من أرتحشستا الملك. نرى أن بداية السبعين أسبوعًا هي السنة العشرون لأرتحشستا ملك فارس- أي سنة ٤٥٤ قبل الميلاد. «إلى المسيح الرئيس»- أي إلى المسيح الذي سيأتي ويملك (إش ٩). يقول : «بعد اثنين وستين أسبوعًا يُقطَع المسيح وليس له». ومكتوب في إشعياء ٥٣: ٨ عن موت المسيح أنه «قُطع من أرض الأحياء». إذًا السبعة أسابيع والاثنان والستون أسبوعًا هي إلى موت المسيح. ٦٩أسبوعًا من السنين- أي ٤٨٣ سنة. وبطرح ٣٣ سنة منها، وهي المدة التي عاشها المسيح على الأرض، ينتج ٤٥٠ سنة من أمر أرتحشستا إلى ولادة المسيح.

ولقد حسبها أتقياء اليهود وعرفوا بالتقريب وقت ولادة المسيح، وكانوا ينتظرونه. فسمعان أُوحيَ إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب، فأتى بالروح إلى الهيكل، وعندما دخل بالصبي يسوع أبواه .. أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال : «الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك» (لو٢: ٢٩، ٣٠).

وحنة بنت فنوئيل: «كانت نبية.. وهي أرملة نحو أربع وثمانين سنة، لا تفارق الهيكل، عابدة بأصوام وطلبات ليلاً ونهارًا، فهي في تلك الساعة وقفت تسبح الرب، وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم» (لو٢: ٣٦- ٣٨). فسمعان الشيخ عرف، والمنتظرون الفداء عرفوا ذلك من نبوة دانيال.

في إشعياء ٤٠: ٩- ١١ يأتي القول: «على جبل عالٍ اصعدي، يا مبشّرة صهيون. ارفعي صوتك بقوة ... السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعُملتهُ قدامه. كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحُملان، وفي حضنه يحملها، ويقود المرضعات». فهنا الكلام عن بشارة الملكوت وظهور الرب وإدانته لأعدائه وملكه. ولكي تصير البشارة مسموعة يأتي القول: «على جبل عالٍ اصعدي». والجبل كما نعلم يشير للملك، ولأن البشارة يقينية ولابد أن تتم، دعا الرب مبشّرة صهيون للصعود إلى جبل عالٍ، وعليها أيضًا أن ترفع صوتها ولا تخاف. فالرب سيأتي ليبيد الأعداء ويملك عليهم.

وفي اشعياء ٥٢: ٧ الكلام الذي اقتبسه بولس في رومية ١٠: ١٥ «ما أجمل على الجبال قدمي المبشّر، المُخبر بالسلام، المبشّر بالخير، المُخبر بالخلاص، القائل لصهيون قد ملَك إلهك!».

والسؤال الآن: إن كانت مبشّرة صهيون في بشارة الملكوت عليها أن ترفع صوتها ولا تخاف، لأن البشارة يقينية أكيدة، فماذا عنا نحن في بشارة النعمة التي يعقبها غلق الباب على العذارى غير المستعدات؟ **هل** قلوبنا ملتهبة ونرفع صوتنا: «هوذا العريس مُقبل فاخرجن للقائه؟». **هل** قلوبنا ملتهبة على مَن هم في طريقهم للوقيد الأبدي؟ **آه ليتنا نفعل،** ولا ننتظر أن يأتي إلينا الناس لنخدمهم، بل نكون كسيدنا الذي قيل عنه: «وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلّم في مجامعها، ويكرز ببشارة الملكوت» (مت ٩: ٣٥).

آه يا يوسف، ها أنت "منتظر ملكوت الله"، فكيف الحال الآن وأنت ترى المسيح أمامك مصلوبًا، وعلى رأسه إكليل من شوك ولم يُكلل كملك؟ فماذا

ستفعل!! هل خاب رجاؤك كما حدث مع تلميذي عمواس الذين لمّا «اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته»، وعندما رأى أنهما عابسين سألهما: «ما هذا الكلام الذي تتطارحان به؟» أعلن له كليوباس في حزن عما حدث في أورشليم والأمور «المختصة بيسوع الناصري... كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه»، وأعلنا في حزن: «ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل». وماذا حدث لرجاؤهم؟ ففي نظرهم خاب الرجاء عندما رأوه معلقًا على الصليب. **فماذا عنك أنت يا يوسف؟**

إن تصرفات يوسف تعلن أن رجاءه لم يَخِب، بل لمع الرجاء أمامه، وأدرك أن استضافة الرب في القبر لن تدوم طويلاً. ولا ننسى أنه تلميذ ليسوع، وربما سمع ما قاله الرب في يوحنا ٢: ١٩ «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه»، وفهم في وقت الصلب أن الهيكل يُنقَض، لكن سيقوم بعد ثلاثة أيام.

> **يقينًا** يوسف كان مع الواقفين في لوقا ٢٣: ٣٥ «وكان الشعب واقفين ينظرون، والرؤساء أيضًا معهم يسخرون به قائلين: خلّص آخرين، فليخلّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله!». وقال لهم: «إن كنت أنت ملك اليهود فخلّص نفسك»، بل قرأ العنوان المكتوب: «هذا هو ملك اليهود». وبرغم كل هذا، طلب يوسف جسد الرب يسوع ليُستضاف في قبره.

وربما تذكّر ما جاء في إشعياء ٥٣: ٩ «وجُعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته». وهو يعرف أين ستُلقى جثث المصلوبين، فلِمَ لا؟ أراد أن يفوز

بالنصيب، ويكون هو الغني الذي سيضم جسد الرب يسوع. ولِمَ لا، وعنده قبر جديد لم يوضع فيه أحد.

وفي لوقا ٢٣: ٤٢ نرى اللص التائب الذي أعلن أنه يرى في المصلوب ربًا وملكًا يملك، حين «قال ليسوع: اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك». لقد ظهر في هذا اللص علامات التغيير حين انتهر اللص الآخر قائلًا: «أوَلا أنت تخاف الله، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه؟». ولم يكتفِ بهذا، بل أعلن استحقاقه للدينونة والموت: «أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا».

نعم، لقد ذنّب نفسه وأعلن استحقاقه للعقاب، لكنه عشم في رحمة الرب، وأدرك من هو المصلوب في الوسط. ولم يرَ في إكليل الشوك إلا إكليل المجد، واعترف بالرب يسوع ربًا وملكًا، وسيأتي ويملك، في الوقت الذي لا توجد فيه علامة واحدة من علامات مجد أو جلال للرب يسوع، وهو معلّق على الصليب، بل لا صورة له ولا جمال. **وفي كل يقين** أعلن أن المسيح الرب والملك الذي لا بد أن يأتي ويملك. وكان أقصى تطلعاته أن يذكره المسيح عندما يأتي ويأخذ المُلك الذي له، ولم ينظر للمشهد الذي أمامه.

ويلاحظ أن اللص التائب لم يطلب من الرب يسوع أن يخلّصه من عذابه وصلبه، لأنه لم ينشغل بنفسه وحالته في هذا الوقت، بل كل ما يشغله «مُلك المسيح»، ويريد أن يكون له نصيب معه حين يعود ليملك. هذا اللص لا يصدّق في فناء الأجساد مثل الصدوقيين، بل يعلن إيمانه أن هناك قيامة بعد الموت، بل ويؤمن بنبوات العهد القديم التي تعلن عن مُلك المسيح. في الوقت الذي يرى بعينيه المسيح معلّقًا ومصلوبًا، وبحسب

المنظور لا رجاء في تحقيق ذلك، لكنه يعلن أن المسيح سيقوم، سيأتي ويملك، ويريد أن يذكره الرب يسوع عندما يرجع ليأخذ المُلك الذي له. **لكن** الرب يُجيبه أن ليس عليك أن تنتظر يوم الاستعلان بالمجد والقوة، بل: «اليوم تكون معي في الفردوس».

ومات على رجاء، وعلى موعد لقاء.

ولنا سؤال لنعلمه من قول الرب للِص التائب: «اليوم تكون معي في الفردوس». والسؤال: هل الفردوس هو بيت الآب؟ وإن كان لا، فما هو الفرق؟ وما هي الأدلة الكتابية؟

من الواضح أن الفردوس لا يُقصَد به القبر، والدليل أن الرب يسوع واللص التائب لم يجمعهما قبر واحد، فاللص التائب «جُعل مع الأشرار»، أما الرب يسوع فُوضع في قبر يوسف الرامي الرجل الغني. لكن الرب قال له: «اليوم تكون معي في الفردوس»، معلنًا أنه سيلتقي به اليوم في الفردوس.

فما هو الفردوس؟ الفردوس هو مكان تلاقي أرواح الأبرار. وبولس أعلن لنا مكان الفردوس في ٢كورنثوس١٢: ٢ وأنه السماء الثالثة، حين أعلن: «أعرف إنسانًا في المسيح قبل أربع عشرة سنة، أفي الجسد؟ لست أعلم، أم خارج الجسد؟ لست أعلم. الله يعلم. اختُطف هذا إلى السماء الثالثة... اختُطف إلى الفردوس». فالفردوس هو السماء الثالثة، باعتبار أن السماء الأولى سماء الطيور، والسماء الثانية سماء النجوم، والثالثة هي الفردوس. وعبارة «اختُطف إلى السماء» تعني رفعة وسمو.

والرب يسوع بعدما «نكَّس رأسه وأسلَمَ الروح» ذهب إلى الفردوس، وهكذا اللص الذي لحقه في الفردوس حيث أرواح الأبرار بعد انطلاقها من

أجسادها. لكن بعدما عاد الرب يسوع بروحه الإنسانية من الفردوس وقام من بين الأموات، قال لمريم المجدلية بعدما ظهر لها عند القبر: «اذهبي إلى إخوتي وقولي لهم: إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم» (يو ٢٠: ١٧). وعليه، فبيت الآب ليس هو الفردوس. بيت الآب أرفع حالًا من الفردوس، بيت الآب هو ما لنا بعد قيامتنا بالأجساد الممجدة، ونُخطف مع الأحياء المؤمنين، بعد تغيير الأجساد، ونلتقي الرب في الهواء، ويمضي بنا إلى بيت الآب الذي أعده لنا، حين دخله كسابقٍ لنا.

لقد سبق كثيرون الرب يسوع إلى الفردوس بأرواحهم، أما هو، له كل المجد، فسبق الكل إلى بيت الآب بجسده الممجد، ووعدنا: «آتي أيضًا وآخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا» (يو١٤: ٣).

فقول الرب للص التائب: «اليوم تكون معي في الفردوس» لأنه مات على رجاء، لأنه التفت إلى المصلوب المكتوب عنه في إشعياء ٤٥: ٢٢: «التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض».

وأعظم بركة
بأبسط وسيلة، بنظرة قلبية.

ظن البعض أن اللص التائب كان أفضل من الآخر، وأنه كان ديّنًا ينتظر ملكوت الله، لكنه بَعدَ وسلك طريق الشر، وعلى الصليب شَفعت له حياته الأولى!! واستدلوا على هذه الفكرة من أقواله حين قال: «متى جئت في ملكوتك». وقالوا إنه يعرف عن ملكوت الله.

والحقيقة، هذه الفكرة ليست لها أي سند كتابي، لأنه مَن مِن اليهود لا يعرف عن ملكوت الله ولو كمعلومة؟ ونحن تعلمنا أنه عندما يصمت الكتاب

نصمت، وعندما يعلن الكتاب نعلن ما أعلنه. فالكتاب أعلن في (مت ٢٧: ٤٤)؛ (مر ١٥: ٣٢) أن اللصّين صُلِبا مع المسيح، وكانا يُعيرانه، وكلاهما مذنبان، وكلاهما بعدل ينالا استحقاق ما فعلا. فمن أين أتت لهم هذه الفكرة إلا إذا كان غرض الشيطان من ورائها أن يحجب عمل نعمة الله ورحمته؟

فتوبة اللص التائب

تعلن عن نعمة الله الغنية التي تصل إلى أعماق النفس البشرية الفاسدة،

وتعلن أن صليب الرب يسوع قسم العالم إلى قسمين: خالص، وهالك.

وأن **الذي** خلص، خلص لأنه رأى في المصلوب ربًا وسيدًا وملكًا،

والذي هلك، هلك لأنه استمر في قساوة قلبه ولم يلتفت ليخلص.

كما تعلن أن الذي يلتفت ويطلب الرب بكل قلبه سينال أكثر جدًا مما يطلب أو يفتكر. فهذا اللص التائب كانت طلبته: «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك». لكن الرب أعطاه فوق ما يسمو إليه، حين قال له: «اليوم تكون معي في الفردوس». أي سآخذك معي اليوم إلى الفردوس، وستتمتع بالشركة معي قبل أن آتي لأملك، فيا لها من نعمة فائقة!

ولنا هنا كلمة عن افتقاد الرب بالنعمة لكثيرين في أواخر لحظات حياتهم. هذا لأن كثيرين عندما نذهب لنسندهم ونؤازرهم في عزيز لهم فارقهم بالموت، وهم يعلمون أنه لم يكن مؤمنًا، بل ربما يعلمون كثيرًا عن سلوكيات وتصرفات ردية له أو شرور علانية، فيسألوننا: أين هو الآن!؟

أنا لا أجد إجابة إلا في سؤالهم: تُرى ما حكم أهل اللص التائب عليه وهم يرونه معلّقًا على الصليب بعدما حكمت عليه حتى العدالة الأرضية

باستحقاق ميتة العار؟ إنهم يقينًا يتعرّون منه ومن مثله، ومن تعيير الناس لهم به. فأقول لهم: لكن حقيقة الأمر المُعلنة لنا في الكتاب المقدس أننا نضمن أنه تاب واعترف بالرب يسوع ربًا وسيدًا وملكًا، ونعرف أين هو الآن. بل وربما يكون هو الوحيد من عائلته الذي نعرف يقين المعرفة أين هو.

فضلاً، فللرب معاملات عجيبة مع كل نفس، وإلى آخر نسمة. فلا نحكم حسب الظاهر (يو ٧: ٢٤).

أما عن يوسف الرامي الذي كان منتظرًا ملكوت الله، فقد سمَا إيمانه عندما رأى الرب يسوع معلّقًا على الصليب، ولم يَخب رجاؤه، بل لمع وأخذ وضعه الصحيح كتلميذ ليسوع. فالرب «يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه». (١كو ١٥: ٢٥). فبعد انتهاء تاريخ الكنيسة على الأرض، ومع مجيء الرب الثاني لأجل القديسين بالاختطاف للراقدين والأحياء، سيأتي الرب ويبيد كل الأعداء، ويقيم ملكه السعيد على الأرض.

وإليك رسم توضيحي لخطّة الله المعلَنة لنا وبعض الشواهد:

الاختطاف ← الضيق ← الظهور – يوم الرب – دينونة الأحياء – المُلك الألفي – دينونة الأموات ← الحالة الأبدية.

الاختطاف: (١تس ٤: ١٥؛ يو ١٤: ٢؛ أع ١: ١١).

الضيق: (مت ٢٤: ٨؛ ثم ضيقة عظيمة مت ٢٤: ٢١).

يوم الرب: (ملا ٤: ١؛ صف ١: ١٤؛ يوئيل ٢: ١١؛ ٢بط٣: ١٠).

الملك الألفـــي: (رؤ ٢٠: ٦). **دينونة الأموات:** (رؤ٢٠: ١٢).
الحالة الأبدية: (رؤ ٢١: ٣).

يوجد قيامتـان: ١- قيامة الراقدين (قيامة بدون دينونة قبل الملك الألفي).
٢- قيامة الأشرار (قيامة ودينونة بعد الملك الألفي).

يوجد دينونتان: ١- دينونة الأحياء قبل المُلك.
٢- دينونة الأموات، قيامة ودينونة بعد الملك الألفي.

إننا لا نقرأ كثيرًا عن أقوال ذُكرت ليوسف الرامي

إلا ما جاء عنه ضمنًا في مرقس ١٥

«دخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع»

وما جاء في يوحنا ١٩: ٣٨

«سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع»

وأيضًا ما جاء في لوقا ٢٣: ٥٠

«لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم»

وعليه

فهو

ليس كثير الأقوال،

بل كثير الأفعال.

«تجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع» (مرقس١٥: ٤٣).

وردت هذه الصفة "جسور" عن يوسف الرامي فقط في إنجيل مرقس. إنجيل الخادم، ليعلن أن الخادم عليه أن يكون شجاعًا ويتحمل أعباء أكثر من غيره في تبعيته للرب يسوع، وهذا ما سنراه هنا مع يوسف الرامي وكلفة تجاسره ودخوله إلى بيلاطس وطلبه لجسد يسوع.

لكن لا ننسى أيضًا أن مرقس كتب إنجيله للرومان، وبيلاطس كان واليًا من قِبَل الرومان على اليهودية، ويوسف الرامي يعرف تمامًا أن بيلاطس شخص قاسٍ، وأكبر دليل على ذلك ما جاء في لوقا ١٣ حين أصدر أوامره بالمجزرة التي طالت بعض الجليليين، وخلط دمهم بدم ذبائحهم. لذا أفضل وصف لِما فعله يوسف حين دخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع هو "تجاسر". نعم، إنها مجاسرة وجرأة من يوسف في طلبه.

ثم لا ننسى أن مرقس- وكما يقول التقليد -هو ذلك الشاب الذي هرب عريانًا (مر ١٤: ٥١)، والذي يرجح هذه الفكرة أن مرقس هو وحده من بين كتّاب البشائر الذي سجلها، خاصةً أنه لا يوجد أي سبب لسرد تلك الحادثة لو لم يكن هو ذلك الشاب، فهو قد تبع يسوع في بادئ الأمر: «وتبعه شابٌ

لابسًا إزارًا على عريّه، فأمسكه الشبان، فترك الإزار وهرب منهم عريانًا». لقد فعل هذا لأنه يخاف الاضطهاد. فكونه هو الوحيد الذي ذكر هذه الحادثة يشبه ما قاله يوحنا عن نفسه دون ذكر اسمه (يو ٢١: ٧) «التلميذ الذي كان يسوع يحبه».

لقد رأى مرقس في دخول يوسف الرامي إلى بيلاطس وطلبه جسد يسوع، شجاعة وجسارة كان يفتقدها هو، خاصةً عندما لم يكمل رحلته برفقة بولس «وأما يوحنا (مرقس) ففارقهم ورجع إلى أورشليم» (أع ١٣: ١٣).

لقد تغير الحال مع مرقس وصار يتمتع بالشجاعة، فكان مع بطرس الرسول في بابل ١بط٥: ١٣، وكذلك يشهد بولس عنه بأنه نافع للخدمة ١تي٤: ١١. فالشخص الذي بدأ خدمته خائفًا ومترددًا، صار جسورًا ونافعًا. لذلك فمرقس هو الوحيد بين البشيرين الأربعة الذي يسلط الضوء على هذا الحدَث، «تجاسر وطلب جسد يسوع».

نعم، إن يوسف الرامي رجل جسور ومقدام يعرف حساب الكلفة وعنده استعداد لتحملها بجسارة. والحقيقة أن إبراهيم، أبو المؤمنين وأول شخصية قيل عنها في العهد القديم إنه آمن بالله، كان جسورًا. ففي عبرانيين ١١: ٨ «بالإيمان إبراهيم لما دُعيَ أطاع أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيدًا أن يأخذه ميراثًا، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي».

فبالإيمان أطاع،

وبالإيمان تغرّب.

لقد وصلت الدعوة من الرب لإبراهيم: «ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النهرين، قبلما سكن في حاران، وقال له: اخرج من أرضك ومن عشيرتك، وهلُم إلى الأرض التي أُريك» (أع ٧: ٢، ٣). لقد وضع الرب أمام إبراهيم رجاء يجذب قلبه: «**الأرض التي أُريك**». لكن حقيقة الأمر أن القوة الدافعة في حياة إبراهيم كانت سبب ظهور إله المجد له. إنه تعرَّف على إله المجد، فاكتفى أن يعيش غريبًا ونزيلاً، وباختياره ترك أور، لأنه كان ينظر إلى المدينة التي لها الأساسات، التي صانعها وبارئها الله.

نعم، يقينًا كان حساب الكلفة بالغًا، لكن جسارته جعلته يقدم بثقة: «فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي»، وسلك طريق الإيمان، ووجد صعوبات، لكن إله المجد لم يتركه. فما إن رأى الكنعانيين إلا ويأتي القول: «وظهر الرب لإبراهيم وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض»، وبهذا رفع عينيه عن المنظور: «فبنى هناك مذبحًا للرب الذي ظهر له... ونصب خيمته» (تك ١٢: ٧، ٨). **فالذي أعطى إبراهيم الجسارة هو ظهور إله المجد له.**

والذي أعطى يوسف الرامي الجسارة هو أنه تلميذ ليسوع، وتَقابل معه مرارًا، وسمع أقواله، ورأى معجزاته، وعلم مَن هو. لذا لا يهاب أي إنسان حتى وإن كان بيلاطس.

إن مرقس الذي انفرد ووصف ما فعله يوسف الرامي بالمجاسرة عند طلبه جسد الرب يسوع، تميز أسلوبه بالاقتضاب. فلو كان مرقس في كتابه مثل يوحنا الذي وصف لنا ما حدث مع المولود أعمى، وكيف أن الرب «تفل على الأرض وصنع من التفل طينًا وطلى بالطين عيني الأعمى. وقال له: اذهب اغتسل في بركة سلوام» (يو ٩: ٦، ٧).

ثم يصف لنا كيف أن الذي كان أعمى والآن يبصر كان جسورًا أيضًا، وجسارته جلبت عليه الشتيمة "فشتموه"، بل وطُرد خارج المجمع أيضًا، وقاسى من الجميع سواء الأهل أو الجيران ورجال الدين، من الحقد والكراهية والإهانة والازدراء.

نعم، لو كان مرقس غير مقتضب في كتاباته لوصف لنا رد فعل بيلاطس على هذه الجسارة التي قام بها يوسف الرامي. يقينًا، بعدما «أمر بيلاطس أن يُعطى الجسد» ليوسف، يقينًا قال ليوسف: خذه واخرج خارجًا "ولا ترى وجهي أيضًا" ما قاله فرعون لموسى، أو كما فعل رجال الدين مع الرجل الذي كان قد وُلد أعمى «فأخرجوه خارجًا» (يو ٩: ٣٤) وحرموه من انتسابه الديني، وتم عزله وخسر كل شيء حسب نظرة أعينهم.

لكن آه، ما أروع ما جاء عن هذا المولود أعمى في يوحنا ٩: ٣٥: «فسمع يسوع أنهم أخرجوه خارجًا فوجده»! لقد خسر عِشرة الفريسيين لكنه ربح الشركة مع ابن الله. فيا له من تعويض سخي! فخارجًا كشف له الرب يسوع عن نفسه كابن الله وكالمرسل (سلوام) من قبل الرب، وانتهى به الأمر معترفًا بالرب يسوع ربًا وسيدًا، وقال: «أؤمن يا سيدي» وسجد له.

يقينًا هذا ما حدث مع يوسف الرامي الذي أخرجته جسارته خارج المجمع، وأخرجته من قصر بيلاطس. لكن نشكر الله الذي يجعل كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبونه (رو ٨: ٢٨). فما حدث سواء مع المولود أعمى أو مع يوسف الرامي أو مع أي شخص جسور يحسب حساب الكلفة، كانت يد الرب وراء كل هذا وكأنه يفتح الباب كما جاء في يوحنا ١٠: ٣، ٤: «لهذا يفتح البواب، والخراف تسمع صوته، فيدعو خرافه الخاصة بأسماء

ويخرجها. ومتى أخرج خرافه الخاصة يذهب أمامها، والخراف تتبعه، لأنها تعرف صوته».

لقد خرج يوسف الجسور خارج الناموس المغلق بتقاليده وفرائضه وطقوسه ومعلميه الذين حكموا على البار بالصليب، وخرج خارج قصر بيلاطس بعهره ونجاسته وقسوة قلوب مَن فيه، وذهب وأنزل جسد الرب يسوع ولفه بكتان ووضعه في قبره المنحوت، وبهذا أعلن إجابة السؤال الذي سأله الرب يسوع للذي كان مولودًا أعمى بعدما أخرجوه خارجًا ووجده يسوع وقال له: أتؤمن بابن الله؟ فهنا وكأن يوسف الرامي يعلن إيمانه تمامًا وبكل جسارة أمام الجميع: **نعم، أؤمن بابن الله.**

ويقينًا جسارة يوسف سُمِع بها في مجمع السنهدرين، وكان لقراره اتباع يسوع علنًا، جلب عليه غضب المجمع، لكن بكل يقين شجّع كثيرين ليأخذوا قرارهم الصحيح، وربما كثيرين من الكهنة تأثروا به، ففي أعمال ٦: ٧ «وجمهورٌ كثير من الكهنة كانوا يطيعون الإيمان».

فجسارة الإيمان تجذب القلوب. وفي أعمال ١٣: ١ الذي هو بداية الجزء الثاني من سفر الأعمال حيث تبدأ الكرازة ليس من أورشليم بل من أنطاكية، تَرِد بعض الأسماء. سنقف عند البعض منها لنرى كيف أن قراراتنا الجسورة في الإيمان تقود الآخرين. فنقرأ: «وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون: برنابا، وسمعان الذي يُدعى نيجَر، ولوكيوس القيرواني، ومَناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع، وشاول».

وذكر برنابا أولاً لجسارته. ونحن نعرف أن اسمه الحقيقي يوسف، ودعاه الرسل برنابا ابن الوعظ والتشجيع (أع ٤: ٣٦). وهو لاوي قبرصي الجنس، وكان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل. ويوصف فيما بعد في أعمال ١١: ٢٤: «كان رجلًا صالحًا وممتلئًا من الروح القدس والإيمان».

فبرنابا لم يُلزمه أحد أن يبيع ماله، فهو جسور أعلن إيمانه بالرب يسوع، وربما يكون من الذين آمنوا يوم الخمسين. ومع أنه قبرصيًا، لكنه أتى إلى أنطاكية بتكليف من الرسل وهناك «وعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب... فانضم إلى الرب جمع غفير». ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول، ولما وجده جاء به إلى أنطاكية... وعلّما جمعًا غفيرًا. فيقينًا جسارته وما قام به، كان يؤيد وعظه ويؤثر في مَن يسمعون.

لكن الكتاب يذكر لنا أيضًا «مناين الذي تربى مع هيرودس»، وهذا الرجل الذي عاش في القصر الملكي بفساده، وربما يكون أخًا غير شقيق لهيرودس، ويقينًا قد سمع أو شاهد قطع رأس المعمدان الذي كان هيرودس يسمع له بإعجاب، لكن إرضاءً لهيروديا قطع رأسه. وربما سمع المعمدان يدعو للتوبة، وبهذا تكون جسارة المعمدان ووقوفه ضد أفعال هيرودس دفعت مناين لرفض الشر واتباعه للرب يسوع. ولم يكن مجرد مؤمن، لكنه خادم، **وهذه هي النعمة**.

أما شاول المذكور هنا أيضًا، فبكل يقين كان رجم استفانوس أمامه، وقول استفانوس: «ها أنا أنظر السماوات مفتوحة، وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله». وقول استفانوس: «أيها الرب يسوع اقبل روحي»، وصراخه بصوت عظيم: «يا رب، لا تُقِم لهم هذه الخطية». يقينًا كل هذا أثر في

شاول الذي كان حارسًا لثياب راجمي استفانوس، «وكان شاول راضيًا بقتله». ولو أنه استمر في أفعاله، وكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالًا ونساء ويسلمهم إلى السجن (أع ٨: ٣)، وكان ينفث تهددًا وقتلًا على تلاميذ الرب (أع ٩: ١)، وربما كان يفعل كل هذا وداخله نخر في العظام بسبب جسارة استفانوس عند رجمه.

لكن ما إن سمع الصوت: «شاول، شاول! لماذا تضطهدني؟»، إلا واعترف بالرب يسوع ربًا وسيدًا، وقال: «يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟»، وصار بولس رسول الأمم.

فإن كنا نظن جسارة المعمدان أتت بمناين الذي تربى مع هيرودوس، فإننا نثق أن جسارة إيمان استفانوس كان العامل المؤثر جدًا في خضوع شاول، وربما أيضًا جسارة الرجال والنساء الذين كان يسوقهم للسجون، وسلام الله يملأ حياتهم، كان عاملاً آخر مؤثرًا.

[فجسارة الإيمان تُقرأ من غير المؤمنين، وتؤثر فيهم.]

وفي ٢أخبار١١: ١٤ نرى جسارة وشجاعة وأمانة اللاويين أيام رحبعام ابن سليمان. فقد تركوا الممتلكات التي لهم وشهدوا ضد الشر رغم أنه كلفهم ترك ممتلكاتهم «لأن يربعام وبنيه رفضوهم من أن يكهنوا للرب»، فاختاروا الطاعة للرب ورفضوا أن يخدموا يربعام بعبادته الباطلة ومذابحه وكهنته غير اللاويين وأعياده، فكانوا بركة لغيرهم. وحفّز تصرفهم هذا كثيرين من كل أسباط إسرائيل وليس فقط يهوذا وبنيامين، فتركوا وثنية يربعام وأدركوا أن مكانهم ليس وسط هذه النجاسة، فجاءوا إلى أورشليم

حتى إن الكتاب يذكر «وشددوا مملكة يهوذا وقووا رحبعام ابن سليمان ثلاث سنين، لأنهم ساروا في طريق داود وسليمان» (٢أخ ١١: ١٧).

نعم، فجسارة اللاويين كانت سبب نهضة روحية في يهوذا ولو أنها كانت مؤقتة. وكذلك الحال مع آسا (٢أخ ١٥: ٩) جمع كل يهوذا وبنيامين والمتغربين معهم من أفرايم ومنسى وشمعون لأنهم سقطوا إليه من إسرائيل بكثرة **حين رأوا أن الرب إلهه معه**، لأنه بجسارة نزع المذابح الغريبة والمرتفعات، وكسر التماثيل، وقطع السواري.

كان أيضًا إيليا نبيًّا جسورًا. وفي ٢ملوك ١ سقط أخزيا الابن الشرير لأخآب من الكوة فمرض، وفي مرضه، برغم أنه معاصر لواحد من أعظم الأنبياء وهو إيليا النبي، لم يرسل رسالة إلى إيليا، بل أرسل رسلاً وقال لهم: «اذهبوا اسألوا بعلزبوب إله عقرون». وهذا أول ورود لبعلزبوب، وهو إله وثني كان يُعبد في مدينة عقرون، إحدى مدن الفلسطينيين، وبالتالي أخزيا هو أول من نطق اسمه ليظهر مدى انحرافه عن عبادة الإله الحي الحقيقي. فأخزيا هنا أرسل يسأل بعلزبوب: «إن كنت أبرأ من هذا المرض». ولم يصل رسل أخزيا إلى عقرون لأن الرب أرسل إلى إيليا:

«قم، اصعد للقاء رسل ملك السامرة وقل لهم:

أليس لأنه لا يوجد في إسرائيل إله، تذهبون لتسألوا بعلزبوب إله عقرون؟

لذلك هكذا قال الرب:

إن السرير الذي صعدت عليه لا تنزل عنه، بل موتًا تموت».

فقد أصدر الرب حكمه على أخزيا وأرسل إيليا ليعرّفه به. وبعد محاولات من أخزيا نزل إيليا إلى الملك وقال له ما قاله الرب، ومات أخزيا.

نعم، إيليا جسور. وفي ١مل ١٨: ٧ نرى إيليا الجسور يتقابل معه عوبيديا، الذي كان يشغل مركزًا رسميًا في قصر أخآب الشرير ملك إسرائيل. لكن عوبيديا لم يكن جسورًا مثل إيليا، بل كان يخاف الملك وغضبه، فلم يكن طائعًا لصوت الرب خوفًا على نفسه من القتل (١مل ١٨: ١٢ «أخآب... يقتلني»)، أو ربما خوفًا على مركزه ووضعه في المملكة، فكان إذا خدم الرب، يخدمه سرًا. فإنه حينما قتلت إيزابل أنبياء الرب، "أن عوبديا أخذ مئة نبي وخبأهم في مغارة وأعالهم بخبز وماء".

وحدثت مقابلة بين إيليا وعوبيديا كشفت حال كل منهما. **فإيليا مؤمن في شركة مع الرب ويحيا حياة الطاعة الكاملة، أما عوبديا فمؤمن خائف مرتبك تحت نير.** وحين قال إيليا لعوبديا: «اذهب وقل لسيدك: هوذا إيليا» (١مل ١٨: ٨). اعتذر عوبديا وتمنّع عن هذه الخدمة، وأعلن سبب امتناعه، وهو معرفته بقسوة سيده، فقال ثلاث مرات: «يقتلني». فلما رأى إيليا خوف عوبديا من بطش الملك، عفا عن عوبديا من هذه المهمة، وأعلن بكل جسارة:

«إني اليوم أُتراءى له» (١مل ١٨: ١٥).

والحقيقة أن إيليا لم يذهب إلى أخآب، بل ذهب عوبديا للقاء أخآب وأخبره، «فسار أخآب للقاء إيليا» (١مل ١٨: ١٦). فجسارة إيليا جعلت عوبديا يراجع نفسه: لماذا أخاف كل هذا الخوف من أخآب؟ لكن الملاحظ أننا لا نقرأ شيئًا عن عوبديا بعد ذلك، لأنه لا يمكن أن يكون خادمًا وهو تحت نير أخآب، ويخشى على مركزه، ويحرص على رضا أخآب عليه. **أما إيليا فجسور، وخدمته نارية.**

وهنا نرى يوسف الرامي وجسارته التي أعطته نيشانًا لم يحظَ به أحد، فقد حسم أمره مع حياته الأولى ومركزه الاجتماعي والديني، واختار أن لا ينكر إيمانه.

ويجب أن نلاحظ أن بيلاطس "وَهَبَ الجسد ليوسف"- أي أعطاه له على سبيل الهِبة دون مقايضة أو رسوم أو ضرائب معتادة في هذه الحالات. والسؤال: لماذا برغم علمه أن يوسف غني؟ إنها محاولة منه لتسكيت ضميره مرة أخرى بعدما «غسل يديه قدام الجمع قائلاً: إني بريء من دم هذا البار!» (مت ٢٧: ٢٤). فقد تعامل الرب مع بيلاطس بعدة أساليب، كما أنه «علم أنهم أسلموه حسدًا» (مت ٢٧: ١٨)، **لكن ها هو صُلب ومات،** فلماذا لا يهب جسده ليوسف ظنًا أنه بهذا قد يهدأ ضميره بعدما جلد البار وأسلمه ليُصلب؟

لقد تبع بطرس الرب من بعيد حين أمسكوا يسوع ومضوا به إلى قيافا. وجلس بطرس من بعيد لينظر النهاية، وحين جاءت إليه جارية قائلة: وأنت كنت مع يسوع الجليلي، أنكر قدام الجميع. وإذ خرج إلى الدهليز رأته أخرى وقالت نفس الكلام، فأنكر بطرس وقال: لست أعرف الرجل!!! ثم مرة ثالثة حين جاء القيام وقالوا لبطرس: أنت أيضًا منهم، ابتدأ يلعن ويحلف: أنا لا أعرف الرجل!! (راجع مت ٢٦: ٧٤).

آه يا بطرس،

كم أنت خائف وليس عندك جسارة! أتنكر من خوفك معرفتك للرب يسوع، الذي من ساعات قليلة كنت تأكل الفصح معه؟ ألم يغسل رجليك، ودار بينك وبينه حديث؟!

لكن في أعمال ٢: ٢٢، ٢٣ لما حضر يوم الخمسين وامتلأ الجميع من الروح القدس، نرى بطرس يقف ويعلن: «أيها الرجال الإسرائيليون، اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قِبَل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم... هذا أخذتموه مُسَلَّمًا بمشورة الله المحتومة وعِلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه». فيا لها من جسارة! **أين ذهبت مخاوفك يا بطرس؟**

ثم في أعمال ٤: ١١، ١٢ وبعد شفاء الرجل الأعرج من بطن أمه وغضب الرؤساء على بطرس ويوحنا، نرى بطرس واقفًا في الوسط وحوله رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل، ويتكلم بكل مجاهرة عن صلبهم للرب يسوع، وأن الله أقامه من الأموات، ويعلن: «هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناؤون، الذي صار رأس الزاوية. وليس بأحدٍ غيره الخلاص».

والسؤال: من أين أتت كل هذه المجاهرة والجسارة لبطرس الخائف، الناكر لسيده؟ والإجابة في أعمال ٤: ١٣: «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديمَا العلم وعاميان، تعجبوا. فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع». نعم، أدركوا أن هذه الجسارة لأنهم ليسوا مجرد تلاميذ للرب يسوع، بل لهم عِشرة معه ويستقون من تعليمه وروحه.

نعم، قد يستخدم الروح القدس شخصًا غنيًا، مشيرًا شريفًا كما استخدم يوسف الرامي، لكن قوة الروح القدس واستخدامه تظهر بأكثر لمعان في مَن هم مثل بطرس ويوحنا العاميان. فقد أعلن الجمع ثبات وشجاعة بطرس هو ومَن معه، وهما قد استفادا من عشرتهم مع الرب يسوع الذي كان يتكلم بكل مجاهرة. فموقف بطرس أعاد إلى ذاكرتهم شجاعة الرب يسوع وثباته.

فجسارة يوسف الرامي ودخوله لرجل مثل بيلاطس الدموي القتَّال،

لأنه "تلميذ ليسوع"،

"كان مع يسوع"،

له عشرة معه

كما هو الحال مع بطرس هنا ومَن معه.

ويلاحظ أن كاتب سفر الأعمال هو لوقا الطبيب، وهو الذي انفرد بالكلام عن الصفة الباقية لنا في التأمل عن صفات يوسف الرامي، وهي "رجل صالح بار". فلماذا انفرد بها لوقا؟ تعال لنعرف.

انفرد لوقا بهذه الصفة الرائعة ليوسف: «**صالحًا بارًا**». ونحن نعلم أن لوقا كان طبيبًا (كو ٤: ١٤)، وهو الكاتب الأممي الوحيد في كتَّاب الوحي. وكتب لنا أيضًا سفر الأعمال الذي هو بمثابة أطول رسائل العهد الجديد. كما أن لوقا يحدثنا عن الرب يسوع باعتباره ابن الإنسان، ويعلن غرض مجيئه إلى العالم: «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلّص ما قد هلك» (لو ١٩: ١٠).

ويلاحظ أن لوقا هو الوحيد الذي حدثنا عن ولادة الرب يسوع في مذود، ولوقا وحده هو الذي يذكر استقبال القديسين الموجودين في ذلك الزمن للمولود، ويصفهم بنفس الصفات التي وصف بها يوسف الرامي. فزكريا وامرأته أليصابات: «كانا كلاهما بارين أمام الله، سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم» (لو ١: ٦). ووصف لنا سمعان الشيخ بنفس الصفة: «هذا الرجل كان بارًا تقيًا ينتظر تعزية إسرائيل» (لو ٢: ٢٥). كما أننا لا ننسى أن يوسف خطيب المطوبة مريم، يذكر لنا البشير متى أنه كان بارًا (مت ١: ١٩).

وهكذا نرى أن لوقا يذكر أن الرب يسوع في مولده انتظره أتقياء أبرار، وبعد صلبه وموته أنزله، ولفّه بكتان، يوسف رجلاً صالحًا بارًا.

صحيح أن الدليل ضعيف على أن لوقا الطبيب كان رسامًا أيضًا، وليس مدعومًا من الكتاب المقدس، إلا أن ما يرجحه هو أننا نراه دائمًا يضع اللون الأبيض بجانب اللون الأسود، أو الصفة وعكسها ليزيد المشهد جمالاً ولفت نظر. فمثلاً في تسبيحة المطوبة مريم (لو ١: ٥٢، ٥٣): «أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين. أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين».

وفي عظة التطويبات (لو ٦: ٢٠، ٢٤) نجد تطويبات وويلات: «طوباكم أيها المساكين... ويل لكم أيها الأغنياء». وفي مَثَل الفريسي والعشار: «كل مَن يرفع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع» (لو ١٨: ١٤). وعندما انفرد بمَثَل الغني ولعازر، الذي ليس مجرد مَثَل، بل مَثَل لحقيقة، نجد: "إنسان غني يتنعّم، وآخر مسكين اسمه لعازر مقروح، يشتهي أن يشبع من الفتات".

أيضًا في لوقا ٢١: ١ حين رأى الأغنياء يلقون قرابينهم في الخزانة، ورأى أيضًا أرملة مسكينة ألقت هناك فلسين. فدائمًا نرى لوقا يجمع بين الغني والفقير، أو المتدين المستور عن عيون الناس، والخاطئ المفضوح في أعينهم.

كما إن لوقا من ضمن مُسميات إنجيله "إنجيل المساكين"، لأن أول عظة فيه في مجمع (لو ٤: ١٦) أعلن الرب يسوع: «روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين». ولأن كلمة "مساكين" وردت فيه ثمان مرات من بين ١٢ مرة في كل العهد الجديد.

لكنه أيضًا يسمى "إنجيل الأغنياء"، فقد وردت هذه الصفة ١١ مرة في إنجيل لوقا، بينما ذكرت خمس مرات في إنجيلي متى ومرقس، ولم ترد في إنجيل يوحنا.

وعليه، فإننا نرى لوقا يجمع المتناقضات بجوار بعضها ببلاغة مميزة. وهذا ما نراه في هذه الصفة ليوسف الرامي «**صالحًا بارًا**»،

لأن

الصالح يعطي ويأخذ دون أن يطالب بحق،

أما البار فيعطي ويأخذ، لكنه يطالب بحق.

فيضع الصالح الذي يعطي ولا يطالب بجوار البار الذي يعطي لكنه يطالب. انفرد بها لوقا لأن هذا أسلوبه في سرده للأحداث.

وظهرت صفتي يوسف الرامي «صالحًا بارًا» معًا في تكملة الجملة: «هذا لم يكن موافقًا لرأيهم وعملهم». فهو صالح لا يحابي أي وجه لأجل أي منفعة، فطالب بحق الرب يسوع في الحياة أمام مجمع السنهدرين، ووقف ضد رئيس الكهنة وباقي الأعضاء، وأعلن رأيه بمجاهرة حسب الناموس.

وربما يكون هو ونيقوديموس حضرا جلستي المحاكمة للرب يسوع، أما الثالثة فلعدم موافقتهما لرأيهم وعملهم فلم يحضراها، وهي التي أخذ فيها القرار بصلب الرب يسوع وقتله.

آه، ما أسوأ الجو الفاسد المحيط بيوسف البار وسط هذا المجمع الدنس المملوء بالمؤامرات وخطط للقتل، والعجيب أنه جو رجال دين وكهنة وفريسيين!

إن الصلاح يبدأ من القلب. هذا ما أعلنه الرب يسوع نفسه (مت ١٢: ٣٥) «الإنسان الصالح من الكنز الصالح في القلب يخرج الصالحات». فالقلب هو الكنز الداخلي غير المنظور لِما يخرج من الإنسان؛ سواء بأقوال أو أفعال.

وكون الكتاب يصف يوسف بالصالح وهو تلميذ ليسوع، هذا لكي يعلن لنا عن إيمانه، لأن **الإيمان أصل البر والصلاح**. وبحسب مزمور ١٢٥: ٤ يطلب المرنم: «أحسن يا رب إلى الصالحين»، لأنه قد يتعرض الصالح هنا لتهكمات من حوله لأن تصرفاته تخالف تمامًا تصرفات أهل العالم الذين ليس لهم الكنز الصالح الذي يخرج الصالحات، لأن الكوب لا ينضح إلا بما فيه.

لذا يصلي المرنم للرب أن يعضد الصالحين حتى لا يفشلوا أو يُحبَطوا من الجو المحيط بهم، وعدم فهم مَن حولهم لأفعالهم أو أقوالهم. فالصالح لا يتكلم كثيرًا، لكن أفعاله تُظهر صلاحه، وهذا ما ظهر في تصرف يوسف مع أعضاء السنهدرين حين أعلن عدم موافقته «لرأيهم وعملهم» (لو٢٣: ٥١).

فقد كان رأيهم بالإجماع أن يُقتل المسيح، لاسيما بعد إقامته لعازر، وبعدما رأوا كثيرين من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنوا به. وبعدما ذهب قوم من اليهود إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل يسوع، فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعًا وقالوا: ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومان ويأخذون موضعنا وأُمتنا.

لقد كان اهتمام قادة اليهود مُركزًا في الأمور الدنيوية الأرضية، فهم خافوا أن يلتف الشعب حول يسوع وينادوا به ملكًا، فتدخل السلطة الرومانية بقوتها العسكرية وتضرب أورشليم وكل اليهودية وتأخذ كل ما كان لليهود. وعلى هذا الأساس، اعتبر رؤساء الشعب أن استمرار المسيح في أعماله المعجزية، هو كارثة على أُمتهم العبرية.

وهنا تدخل قيافا، الذي كان رئيسًا للكهنة في تلك السنة، ولأنه رئيس الكهنة والروح القدس استخدم منصبه لينطق من خلاله بنبوة، وجعله الله القدير يرى أن يسوع سيموت فداءً «عن الأمة، وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد». (يو١١: ٥١، ٥٢). لكنه تناول الأمر بحكمة جسدية بشرية دون أن يدرك أبعادها الروحية، ولم يفهم معنى النبوة، إذ ظن أنه يصير سبب هلاك للأمة اليهودية إذا بقيَ المسيح حيًا، وأعلن: «خيرٌ لنا أن يموت إنسانٌ واحدٌ عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها!» (يو١١: ٥٠)، وأقنع رأيه أعضاء المجمع، ومن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوا يسوع. **فيا له من عمى روحي!**

لكن يوسف أيضًا من ذلك اليوم لم يحضر جلسات هذا المجمع لأنه "صالحًا بارًا"، فكيف له أن يوافق هذه الآراء؟ أما باقي أعضاء السنهدرين الذين يتظاهرون بالصلاح أمام الجميع وينادون ويعلّمون الناس من الخارج، وهم في المجمع والهيكل يتشاورون ويخططون للقتل. وهذا ما جاء في أمثال ٢٠: ٦: «أكثر الناس ينادون كل واحد بصلاحِهِ»، مادحين أنفسهم. وهذا ادعاء كاذب لمعرفتهم أنهم لم يجدوا مَن يمدحهم لسوء تصرفاتهم، فيبدأون هم وينادون بصلاحهم لعل أحدًا يسمع ويشهد لهم.

أما الرجل الذي يملك هذه الصفة الرائعة، فلا يشهد عن نفسه ولا ينادي بصلاحه، لكن سلوكه يعلن صلاحه. لذا لا يحتاج أن يبوّق وينادي بصلاحه، ويكفي يوسف الرامي شهادة الروح القدس له التي سُجلت في الكتاب المقدس «صالحًا بارًا». فالصالح بحسب جامعة ٧: ٢٦ يجب أن يكون "صالحًا قدام الله" أو في عيني الرب.

نعـم، نقـول هـذا، لأنه حـين يمـدحنا العـالم بالـصلاح فعلينـا أن نفحـص أنفسنا في ضوء المكتوب لئلا نكون في فترات ضعف. وهذا ما حدث مع داود. ففي ١صموئيل ٢٩: ٦ دعا أخيش ملك الفلسطينيين داود ومدحه بالقول: أنت مستقيم وصالح في عينيَّ. وكان داود في هـذا الوقـت قـد نـصب فخًـا لنفسه، ولولا الرب الذي جعل رؤساء الفلسطينيين يكرهون داود لكان داود ذهب وحارب شعب الله!!!

أما يوسف الرامي،

فالذي شهد عنه عن صلاحه وبره هو الرب، وأعلنه في كتابه. كما شهد علـى نـوح (تـك ٦: ٩): «كان نـوح رجـلاً كاملاً في أجيالـه». ونـوح هـو الرجـل الوحيد في جيله الذي قيل عنه: «سار نوح مع الله». وإن كانت هذه العبارة قيلت قـبلاً عـن أخنـوخ «وسـار أخنـوخ مـع الله، ولـم يوجـد لأن الـرب أخـذه» (تك ٥: ٢٤). لكن نوح كان بارًا كاملاً، الكتاب يحدد في أجياله، فهو الوحيد الذي شهد عنه هذه الشهادة. ويحق له أن يقول ما قاله إيليا: «بقيت أنا وحـدي» (١مل ١٩: ١٠)، لكنه لم يقُلها، وكأن الروح يريد أن يقول لنا: إن خلاص نوح من الدينونة لم يكن لاستحقاق فيه، لذا قبل أن يكلمنا عنه أنه بار كامل، قال قبلاً: «وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب».

وهنـا أول ذكر لكلمة "نعمة" في الكتاب، وارتبطت بالخلاص. فهذه حقيقـة كتابيـة أن الخـلاص بالنعمـة: «لأنكم بالنعمـة مخلَّـصون، بالإيمـان، وذلك ليس منكم، هـو عطية الله. ليس من أعمال كي لا يفتخر أحـد» (أف ٢: ٨، ٩). فحـتى العمـل الجليـل الـذي عملـه يوسـف الـرامي، لـو لـم يكـن بالإيمان لمَا كان له مجازاة.

أوصاف القبر

ذكرت البشائر الأربع أن القبر جديد لم يوضع فيه أحدٌ قط، وأنه منحوت في صخر، وله باب ووضع عليه حجر. لكن متى البشير انفرد بأن هناك حراسًا ذهبوا لضبط القبر وختم الحجر بعدما اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: «يا سيد.... مُر بضبط القبر». كما انفرد يوحنا في بشارته وأخبرنا أن القبر كان في بستان، وأنه كان قريبًا، لكنه وبحسب عبرانيين ١٣: ١٢ كان أيضًا خارج باب أورشليم. وهذا رسم يوضح ورود العبارات في الأربع البشائر:

متى ٢٧: ٦٠	**جديد**	**حجر على بابه.**
مرقس ١٥: ٤٦	**منحوت**	**حجر على بابه.**
لوقا ٢٣: ٥٣	**جديد - منحوت**	**لم يكن أحدٌ وُضِعَ قط.**
يوحنا ١٩: ٤١	**جديد - في بستان.**	**لم يوضع فيه أحدٌ قط .**

* * *

كان قريبًا

إن القبور المنحوتة في الصخور في ذلك العصر كان لها في العادة نوعان: إما أن يكون كشكل المغارة، وعند نحته يُترك جزء كمسطبة لدفن جسد واحد فقط. أو أن يكون حجرًا كبيرًا منحوتًا من الداخل كغرفة، وعلى كل جانب فيها صف من القبور كانت تسمى كويكم (جمع كوك)، وهذه كانت قبور عائلية. لكن على كل حال، كانت القبور المنحوتة في الصخور للأغنياء.

هذا يختلف عن القبور المبنية، والتي كانت لعامة الشعب أو محدودي الدخل، وأشار إليها الرب يسوع في متى ٢٣: ٢٩ «ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين». لكن الفقراء كانت قبورهم تحفر في الأرض وتغطى، وقد أشار إليها الرب في لوقا ١١: ٤٤: «ويلٌ لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون! لأنكم مثل القبور المختفية، والذين يمشون عليها لا يعلمون!».

والحقيقة أن كل التفاصيل التي ذُكرت في الكتاب عن قبر الرب يسوع وصفاته، لها أهميتها في دحض كل الشُبهات التي يدسّها العدو.

أولاً: لقد اجتمعت البشائر في وصف القبر أنه «جديد لم يوضع فيه أحدٌ قط». صحيح أن الرب وضع في قبر مستعار، لكن اليد الإلهية المسيطرة

على كل الأحداث، كانت بعناية تحرس الشهادة عن قداسة الرب يسوع حتى في موته ودفنه، فهو القدوس من الأزل وإلى الأبد.

نعم، لقد قال الملاك جبرائيل للمطوبة مريم عند البشارة: «الروح القدس يحلُّ عليك، وقوة العلي تظللك، فلذلك أيضًا القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو ١: ٣٥). فإن تحبل عذراء هذا أمر عجيب، أما أن تلد القدوس فهذا فيه كل العجب.

نعم، لقد كان الرب يسوع إنسانًا كاملاً، ولكنه وهو إنسان كان هو أيضًا الله. نعم، كان له روح إنسانية ونفس إنسانية وجسد إنساني، لكنه كان الكامل القدوس الذي مجّد الله تمامًا على الأرض. فكل ما صنعه كان رائحة سرور لله، وكان غرضه في كل ما يفعله هو أن يمجّد الله. لقد كان جسده بحق ذبيحة حية لله، فهو القدوس الخالي من كل أثر للخطية.

وتتجلى صفات قداسته على صفحات الكتاب المقدس بعهديه، واستخدمناه بخطايانا، ولذا تُرك في ساعات الظلمة الثلاث، بل ومات وقُبِر، لكنه قام لأنه القدوس. ففي خروج ١٢: ٥ «تكون لكم شاة صحيحة- أي بلا عيب». وفي ١بطرس ١: ١٨، ١٩: «عالمين أنكم افتُديتم... بدم كريم، كما من حمل بلا عيب». ولكن إن كان يجب بالنسبة للشاة أن تكون صحيحة بلا عيب، فإنه بالنسبة للمسيح، ليس فقط بلا عيب، بل كان فيه كل الكمال.

وفي عدد ١٩: ١، ٢ في شريعة البقرة الحمراء: «كلم الرب موسى وهارون قائلاً: هذه فريضة الشريعة التي أمر بها الرب قائلًا: كلّم بني إسرائيل أن يأخذوا إليك بقرة حمراء صحيحة لا عيب فيها، ولم يَعلُ عليها نير».

وكلمة "حمراء" تعني كما جاء عن آدم من معنى اسمه ترابًا أحمر، لأن الرب يسوع آدم الثاني والأخير إنسانًا حقيقيًا جاء ليموت. و"صحيحة" تعني بها كل ما يلزمها. و"لا عيب فيها" تعني لا ينقصها شيء مما يلزمها. أما "لم يَعلُ عليها نير"، فإشارة للرب يسوع الذي ليس به خطية ولم يُستعبَد لأي نير، فهو صاحب السلطان.

فكون البشائر تتحد في وصف القبر بأنه «جديد لم يوضع فيه أحدٌ قط»، لأنه لا يمكن أن يوضع في مكان تتلاصق معه نجاسة وهو القدوس الكامل. ثم إن القبر الجديد يشير إلى أن القيامة تنشئ شيئًا جديدًا. كما أنه من المستحيل أن يوضع الرب يسوع وهو القدوس مع الأشرار في قبرٍ واحد.

وهنا نسأل سؤالاً:

لماذا أقدم يوسف الرامي على طلب جسد الرب يسوع ليدفنه في قبره الجديد الخاص؟

لا ننسى أنه تلميذ ليسوع كما أخبرنا عنه متى ويوحنا (مت ٢٧: ٥٧؛ يو ١٩: ٣٨)، ويقينًا كثيرًا ما سمع له. ولذلك لا يُستبعد أبدًا أن يكون الرب كلّمه وأرشده أن يقوم بهذا العمل وهو واقف عند الصليب. ففي إشعياء ٦٤: ٥: «تلاقي الفرح الصانع البر».

هذه الآية تعني أن الرب يتلاقى ويتكلم مع الشخص الذي يريد أن يصنع البر بفرح- أي بإرادته الكاملة يريد أن يقوم بعمل رائع، فيلتقي به الرب ليشجعه على القيام بهذا العمل. وهنا يوسف سيستخدمه الرب لإتمام نبوة عن دفن الرب يسوع، فلا بد أن يشجعه لأنه هو المعيَّن من الله للقيام بها.

ويلاحظ أن تكملة الآية: «الذين يذكرونك في طرقك». وهنا نلاحظ أن الضمير تغير من المفرد إلى الجمع، وهذا ما حدث في دفن الرب يسوع. فلم يكن يوسف الرامي وحده، بل «جاء أيضًا نيقوديموس الذي أتى أولًا إلى يسوع ليلًا، وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة منًا. فأخذا جسد يسوع، ولفاه بأكفان مع الأطياب، كما لليهود عادة أن يكفنوا» (يو ١٩: ٣٩، ٤٠).

والكتاب يعلن لنا أن دفن ربي يسوع من صميم النبوات وحسب الكتب، ففي ١كورنثوس ١- ٤: «وأعرّفكم أيها الإخوة بالإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه وتقومون فيه وبه أيضًا تخلصون... فإنني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضًا: أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب».

فهنا نرى ثلاث حقائق رئيسية لإيماننا المسيحي لا يمكن إغفال واحدة منها وهي: موت المسيح، دفن المسيح، وقيامته. المسيح له كل المجد.

فمثلًا في دفنه نقرأ إشعياء ٥٣: ٩ «جُعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته». وهذا ما نراه هنا. فالترتيب البشري المتبع وقت صلب الرب يسوع هو طرح الأجساد في مقبرة جماعية لكل المذنبين الذين حُكم عليهم بالصلب، لكن ما حدث عند موت الرب يسوع غير هذا الترتيب، فقد تقدم يوسف الرامي وطلب جسد الرب يسوع ليضعه في قبره الخاص، وكان هذا إتمامًا للنبوة.

فرتب الرب وهيأ قلب يوسف، وبيت يوسف لإتمام النبوة.

نعم، فالرب قال في إرميا ١: ١٢ «لأني أنا ساهر على كلمتي لأُجريها».

فموت الرب يسوع كان حسب الكتب، ودفنه مع الغني كان حسب الكتب، وقيامته في اليوم الثالث حسب الكتب. فنحن نقدِّر ما قام به يوسف، لأنه لو دُفن الرب يسوع مع الأشرار في الهوة العميقة التي يُلقى فيها المصلوبين لمَا كان أحد يصدق قيامته حتى وإن ظهر للتلاميذ وأخبرهم وتحققوا من قيامته. لكن القبر الفارغ يعلن بكل وضوح أن الرب يسوع قام ظافرًا.

وإنكار القيامة هو إنكار لإيماننا، **فلا خلاص ولا غفران خطايا ولا تبرير ولا رجاء لنا بدون القيامة**، لأن كل البركات التي نلناها تنهار إن لم يكن المسيح قد قام. فبقيامته أعلن سلطانه على الموت، لقد وضع نفسه بالموت وأخذها بالقيامة، فهو القائل في يوحنا ١٠: ١٨ «ليس أحد يأخذها مني، بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضًا».

ولذلك نحن نقدِّر يوسف الرامي ونقدِّر عمله وجسارته في أخذ جسد الرب يسوع ودفنه في قبره الجديد، والأكفان الموضوعة، والمنديل الذي على رأس سيدنا الكريم والذي وُجد وحده ملفوفًا، يعلن حقيقة القيامة.

نعم، فما لو وُضع الرب يسوع في هذه المقبرة الجماعية!!! حتى وإن قام ووُجدت الأكفان، فمَن سيصدق؟! لكن القبر الفارغ لا يكذب، والمسيح قام، بالحقيقة قام.

والحقيقة أن قادة اليهود أعلنوا أن القبر فارغ، فعندما حدثت زلزلة عظيمة ونزل ملاك الرب، دحرج الحجر عن الباب وجلس عليه، ارتعد الحراس وجاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان. فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين: «قولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام» (مت ٢٨: ١٣). فهذا إعلان صريح لقيامة الرب يسوع،

ولم يتمكنوا من تكذيب الخبر، لذلك لجأوا للكذب والتدليس لتبرير وجود القبر فارغ. فقد صدقوا شهادة العيان، ويقينًا ذهبوا «لأن القبر كان قريبًا» (يو ٤٢: ١٩)، ورأوا وتيقنوا، فلجأوا للتدليس.

أما استحالة سرقة الجسد، فالقبر منحوت في الصخر وله باب واحد، وهذا ما جاء في البشائر الثلاث: متى ومرقس ولوقا. وكون القبر منحوتًا في الصخر، والصخر لا يُخترق، فهذا يعني استحالة افتراض أن يأتي التلاميذ من الجهة الأخرى ويسرقون الجسد، لا سيما أنهم صيادون وليسوا حِرفيين أو بناؤون. وحتى الوقت ما بين الدفن والقيامة لا يسمح بذلك، لاسيما أنهم يهود ولا يمكن أن يكسروا وصية السبت، والمريمات أتين باكر الأحد. فمتى أتى التلاميذ ليسرقوا الجسد؟ هذا مستحيل.

أما عن الكذبة التي لفّقها رؤساء الكهنة والفريسيون، فهي ملفقة قبلاً حين ذهبوا «إلى بيلاطس قائلين: يا سيد، قد تذكرنا أن هذا المُضِل قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم. فَمُر بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه، ويقولوا للشعب: إنه قام من الأموات، فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى! فقال لهم بيلاطس: عندكم حراس. اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر». (مت ٢٧: ٦٢- ٦٦).

ومن كلام رؤساء الكهنة والفريسيون هذا، نرى أنهم شهود على أنه مات موتًا حقيقيًا، وله الآن وقت بالقبر من مساء يوم الجمعة إلى أن أتوا إلى بيلاطس يوم السبت. وعليه، فقد اتخذ الكهنة والكتبة والفريسيون، بل أيضًا الرومان، كل الاحتياطات حتى لا يُسرق الجسد من القبر، ولا سيما أن

اليوم الثالث الذي قال المسيح إنه سيقوم فيه، هو يوم عيد الباكورة. وكون الحجر خُتم بختم الإمبراطورية الرومانية، فهذا إعلان عن اشتراك الأمم مع اليهود في صلب الرب يسوع وفي ختم الحجر.

أما عن هذا الختم الذي على الحجر، فهو يمثل سلطان الإمبراطورية الرومانية، ومَن يفك أي ختم للإمبراطورية يُعاقب بعقوبة أشد من التي وُضع لأجلها الختم. وعليه، فأية محاولة من أي شخص لدحرجة الحجر ستفك الختم، وبالتالي ستُعرِّض مَن دحرج الحجر وفك الختم إلى عقوبة أكثر من عقوبة مَن وُضع في القبر.

فإن كان القبر خُتم لأن مَن بداخله حُكم عليه بالصلب، فالذي يفك الختم سيأخذ عقوبة أشد، ولا أشد من الصلب إلى الصلب منكّس الرأس. فتُرى مَن الذي سيفك الختم ويدحرج الحجر وهو يعلم العقوبة مسبقًا؟ هذا مستحيل، لاسيما أن التلاميذ وأشجع مَن فيهم وهو بطرس أظهر كل الخوف حتى إنه تبع يسوع من بعيد بل وأنكر معرفته به من شدة الخوف، وحتى باقي التلاميذ كانوا خائفين مثل بطرس وظلوا كلهم مختبئين خلف أبواب مغلقة: «وكانت الأبواب مغلَّقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود» (يو ٢٠: ١٩). حتى جاء يسوع ووقف في الوسط بعد قيامته:

«وقال لهم: سلامٌ لكم! ولما قال هذا
أراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب» (يو ٢٠:٢٠).

فهل فجأة تملكتهم الشجاعة ليدحرجوا الحجر ويفكوا الأختام ويعرِّضوا أنفسهم لعقوبة الإمبراطورية الرومانية، لا سيما أنهم معروفين لديهم بأنهم

تلاميذه؟ ثم إن كان هناك شك في التلاميذ أنهم فعلوا ذلك، فلماذا لم يتم القبض عليهم؟!

ثم إن متى يذكر أن الحجر كان كبيرًا (متى ٢٧: ٦٠). كما أن مرقس ومتى قالا إن الحجر وقت وضعه دُحرج على باب القبر (متى ٢٧: ٦٠؛ مرقس ١٥: ٤٦). وهذا يعني أن باب القبر أو القبر نفسه كان منحدرًا أو مائلاً قليلاً. أما يوحنا فيقول: إن الحجر رُفع عن القبر عندما جاءت مريم المجدلية إلى القبر «نظرت الحجر مرفوعًا عن القبر»- أي منفصلاً بعيدًا. ومن الطبيعي أنه ليس من جهة الانحدار، بل من الجهة الأخرى، وهذا ما يؤكده لوقا: «الحجر مدحرجًا عن القبر» (لوقا ٢٤: ٢). وفي اليونانية كانت تعني منفصلاً يبعد قليلاً عن القبر حتى إن المريمات دخلن «ولم يجدن جسد الرب يسوع».

وكون الحجر كبيرًا ورُفع إلى الجهة الأخرى. فهذا يعني أنه إذا كان التلاميذ هم مَن جاءوا ورفعوا الحجر، فيكون قد جاء أكثر من رجل، لأن حجرًا كبيرًا مثل هذا يحتاج إلى رجال أشداء مشتركين معًا ليرفعوه ويدحرجوه. فهل يُعقل أن يأتي رجال معًا ولا يصدرون أصواتًا للدحرجة حتى وإن كان الحراس نيامًا ولا يقومون؟! أليس هذا مستحيلاً؟

والسؤال إذًا: مَن الذي دحرج الحجر؟ ولماذا؟ الكتاب يعلن: «وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه» (مت٢٨: ٢). نعم، فقط ملاك واحد يفعلها وفي لحظة. وجلوس الملاك على الحجر المدحرج يعلن أنه لم يفعلها عن استعجال حتى لا يراه أحد، **كما أنه يعلن عن هيمنة السماء على كل ما يحدث،**

فلا الحجر ولا الأختام ولا الحراس ولا الإمبراطورية الرومانية بكل جبروتها **ولا كل الإمبراطوريات تعيق مخطط السماء.**

ثم إن الكتاب يعلن أن العسكر رأوا الملاك وارتعدوا وصاروا كأموات، ثم جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان (متى ٢٨: ١١)، وأن زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات... وإذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان.

أما لماذا تدحرج الحجر، وهل كان ليقوم الرب ولا يجد عائقًا؟ هذا مستحيل، لأن الرب لم يكن محتاجًا لملاك، سواء ليدحرج له الحجر أو ليزيل عائقًا من أمامه. لكن دحرجة الحجر كانت لإظهار أن القبر فارغ ولتتمكن المريمات من رؤية القبر فارغًا، بل ورؤية الأكفان بداخله.

كما إن جسد القيامة يختلف عن الجسد الذي كان للرب يسوع وقت خدمته هنا. فبعد القيامة دخل والأبواب مغلَّقة «ولما كان عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع، وكانت الأبواب مغلَّقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في الوسط، وقال لهم: سلامٌ لكم!» (يوحنا ٢٠: ١٩). وفي نفس الأصحاح (يوحنا ٢٠: ٢٦) «وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضًا داخلاً وتوما معهم. فجاء يسوع والأبواب مغلَّقة، ووقف في الوسط وقال: **سلامٌ لكم**».

كما إن الرب بعد قيامته كان يمكنه أن يظهر ويختفي (لوقا ٢٤: ٣١) «فانفتحت أعينهما وعرفاه **ثم اختفى عنهما**». لكن المؤكد في الكتاب أنه

قام بجسد، وعند ظهوره لتلاميذه بعد قيامته أكد لهم أنه جسد وليس روحًا «جسوني وانظروا، فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي» (لوقا ٢٤: ٣٩).

نعم، لقد قام بالجسد نفسه الذي دفن، ولكن لم تكن له خصائصه الأولى، لكن بالجراح وآثار المسامير في يديه ورجليه (يوحنا ٢٠: ٢٧- ٢٩).

فدحرجة الحجر كانت لتقدم السماء الدليل القاطع والبرهان الساطع على خلو القبر من الجسد المقام.

> **فالقيامة تعلن:**
>
> **أن الكلمة الأخيرة لله** وليست للشيطان،
>
> **وأن النصرة النهائية للحق** وليست للباطل.

ولهذا يشدد بولس تيموثاوس ونحن من بعده: «اذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات».

أما يوحنا فقد انفرد بذكر بعض الأشياء عن القبر، ومنها أنه "**كان في بستان**"، وأنه "**كان قريبًا**".

رتب البشر

أن يُجعل جسد الرب يسوع مع الأشرار.

لكن

الله الآب قد رتب ترتيبًا آخر،

يخالف ترتيبات البشر.

وبتدبير إلهي

امتدت يدا يوسف مع نيقوديموس،

فتسلَّما وأنزلا جسده الكريم،

ولفّاه بالأكفان مع الأطياب.

«ووضعه في قبره الجديد الذي كان قد نحته في الصخرة،

ثم دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر».

(متى ٢٧: ٥٧- ٦٠)

حبرون والنهاية، ثم القيامة

ولنتأمل أولاً في التعبير: «وفي البستان قبرٌ». إن القبر يتكلم عن موت، والبستان يتكلم عن حياة. والترتيب الإلهي بكل عناية رتب أن يكون قبر المسيح رب الحياة في بستان، لأن الذي دفن سيقوم وسيثمر كثيرًا ويرى نسلاً: «جُعل مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته... يرى نسلاً تطول أيامه» (إشعياء ٥٣: ٩، ١٠). وهذا يوافقه قول الرب: «إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمرٍ كثير» (يوحنا ١٢: ٢٤). وما أكثر النسل الذي جاء نتيجة موت الرب يسوع، وهذا ما نجده في آخر مزمور ٢٢: ٣٠، ٣١: «الذرية تتعبد له، يُخبر عن الرب الجيل الآتي. شعبًا سيولد بأنه قد فعل».

نعم، لقد دفن في قبر، لكن القبر في بستان يزهر ويثمر. فالموت هو انفصال وقتي للروح عن الجسد، والوصف الدقيق للموت هو زرع وليس دفن. وهذا ما قاله بولس، الذي يقينًا كان جسده قد ضعف سواء من الشوكة أو من الجلدات والضربات، فتكلم عن رقاد جسد المؤمن أنه «يزرع في فساد ويقام في عدم فساد. يزرع في هوان ويقام في مجد. يزرع في ضعف ويقام في قوة» (١كورنثوس ١٥: ٤٢، ٤٣).

«ويزرع» تعبير جميل خاص بالمؤمنين، فالمؤمن لا يقال عنه يموت بل يزرع لأنه سيقوم. «الذي تزرعه لا يحيا إن لم يَمُت. والذي تزرعه، لست تزرع الجسد الذي سوف يصير» (١ كورنثوس ١٥: ٣٦، ٣٧).

وفي تكوين ٢٣ نقرأ أصحاحًا بأكمله عن موت سارة ودفنها. ويلاحظ أن سارة هي المرأة الوحيدة التي ذكر الكتاب سنها عندما ماتت: «وكانت حياة سارة ١٢٧ سنة... وماتت سارة». ويلاحظ أيضًا أن الكتاب لا يذكر موت هاجر، لأن هاجر رمز للناموس، والناموس حي لكنه لا يسود علينا.

ويقول الكتاب: «فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها». لكن وكأنه يشعر أن القبر لم يمسكها طويلاً، وإن أمر الفراق لن يطول، ولذا «قام إبراهيم من أمام ميته». وما أجمل هذا التصرف لرجل الإيمان، فهو لم ينشغل بالموت كثيرًا، فقام من أمام ميته، وكلم بني حث قائلاً: «أنا غريب ونزيل عندكم. أعطوني مُلك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي».

وإننا لا نقرأ أن إبراهيم اشترى شيئًا ليمتلكه إلا هذه المقبرة، وهذا لإدراكه أنه غريب ونزيل، لكنه أراد أن يمتلك المكان الذي سيضع فيه جسد سارة على رجاء. لذا دفع الثمن كاملًا للمغارة والحقل: «فوجب حقل عفرون الذي في المكفيلة التي أمام ممرا، الحقل والمغارة التي فيه، وجميع الشجر الذي في الحقل ... لإبراهيم ملكًا».

فبرغم أن المغارة موت، لكن هذه المغارة ذات البوابتين تتكلم عن الرجاء. وذكر جميع الأشجار له مدلوله، لأن الأشجار لا تموت، بل تتأصل وتثمر.

ومكفيلة كما ذكرنا تعني "ثنائي أو مزدوج أو ذات البوابتين"، وهذا يعني أن **أول ذكر في الكتاب للدفن، يعلن الحق الكتابي: أن الجسد سيقوم.**

وإبراهيم بشرائه حقل المكفيلة أظهر إيمانه بالقيامة، وكأنه يقول لسارة: قد زرعتك في فساد لكنك ستقومين في عدم فساد. زرعتك في هوان وستقومين في مجد. زرعتك في ضعف بعدما أتعبتك الشيخوخة، لكنك ستقومين في قوة.

لقد أراد عفرون أن يهب الحقل والمغارة التي فيه لإبراهيم ليدفن ميته. ولو حدث هذا وقبل إبراهيم هذا العرض، ودُفنت سارة دون أن يشتري إبراهيم المغارة، لكان من المستحيل أن يُدفن إبراهيم في نفس المغارة. لكن «أسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخًا وشبعان أيامًا، وانضم إلى قومه. ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة» (تك ٢٥: ٨، ٩).

وفي تكوين ٤٩: ٣١: «هناك دفنوا إسحاق ورفقة امرأته، وهناك دفنت ليئة». فقد اشترى إبراهيم هذه المغارة من عفرون الحثي بنظرة إيمان لتكون مقبرة لأسرته. لذا إبراهيم في تعفف الإيمان «وزن إبراهيم لعفرون الفضة... ٤٠٠ شاقل فضة جائزة عند التجار» (تك٢٣: ١٦).

لقد قيَّم عفرون الحقل والمغارة بالعملة الجائزة عندهم، أما إبراهيم فيعرف قيمة الحقل لأنه عربون الميراث الأبدي، وبذلك أظهر رجاءه بالقيامة والميراث المؤسس على هذا الرجاء.

فمغارة المكفيلة التي تعني "ذات البوابتين"، تعني أن الجسد الذي زرع فيها من بوابة وقت الدفن، سيقوم من البوابة الأخرى في مجد.

وكون مغارة المكفيلة في حبرون التي لها وضعها الخاص في الكتاب، فهي تكلمنا عن تعليم رائع: فأول ورود لحبرون كان في تكوين ١٣: ١٨ عندما «نقل إبراهيم خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرَا التي في حبرون، وبنى

هناك مذبحًا للرب». ففي حبرون وعد الله أبرام بولادة إسحاق، وفي حبرون مُسح داود ملكًا، وكانت حبرون عاصمة ملكه (٢صم ٥: ٣).

لكن لا يفوتنا عند الحديث عن حبرون ما جاء في ٢صموئيل ٢: ١ «وكان بعد ذلك أن داود سأل الرب قائلاً: أأصعد إلى إحدى مدن يهوذا؟ فقال له الرب: اصعد. فقال داود: إلى أين أصعد؟ فقال: إلى حبرون».

هذا الأصحاح يأتي بعد أن رثى شاول ويوناثان، وبعد أن طالب بنو يهوذا أن يتعلموا «نشيد القوس» الذي يرمز إلى القوة التي تهزم العدو، والمهارة التي يتطلبها استخدام القوس عن بُعد. كما في القوس استخدام لسلاح الصلاة والاتكال الكامل على الرب، وهذا ما قاله داود في مزمور ٥: ٣ في صورة استعارة لرامي السهام مستخدم القوس: «أوجه صلاتي نحوك وأنتظر».

وكأن المرنم وضع الصلاة في القوس ورفع عينيه عن كل اتكال هنا، ووجه الصلاة صوب الرب في السماء وينتظر مترقبًا الاستجابة. فالقوس للمؤمن هو الاستناد الكلي على قوة الله، الذي يطالب داود بني يهوذا أن يعلموه لأولادهم.

وهنا نرى أن داود يُحيي ما تكلم به ويستشير الرب ويستند عليه، لا سيما أنه الآن في طريقه للعرش والمُلك. لذا «سأل الرب: أأصعد إلى أحد مدن يهوذا؟»، وكانت إجابة الرب: "اصعد". وتحيّر داود: ما هي المدينة التي يذهب إليها؟ فعاد وسأل الرب: "إلى أين أصعد؟"، وهنا إجابة الرب لنا فيها دروس رائعة. فقط حدد الرب المكان وقال له: "إلى حبرون". والسؤال: لماذا يا رب؟

لأن حبرون هو مكان الدفن والقبور ونهاية الإنسان. وكأن الرب يريد أن يعلّمه: أنت ذاهب إلى المُلك، فاحترس من أن تُلهيك حياة الملوك عن الشركة معي. لأن معنى حبرون هو "شركة"، وفي الشركة معي سحق للذات.

كما ان حبرون أحد مدن الملجأ، وحق لبني لاوي (يش ٢١: ١٣) «وأعطوا لبني هارون الكاهن مدينة ملجإِ القاتل حبرون». ورجل الإيمان يشوع كان يعرف أن حبرون مدينة حصينة وبها بني عناق الذين أذابوا قلب شعب الرب، لكنه تمسك بها وبكل ما فيها من ذكريات.

فكأن الرب يقول لداود: ابدأ من حبرون التي اشتهاها كالب ميراثًا، والتي أخذ منها إبراهيم من الرب المواعيد بعدما ظهر له وبنى هناك مذبحًا للرب. كما أنها أرض الموت، فهناك ماتت سارة، وهناك دُفن إبراهيم وإسحق ويعقوب والآباء، وهذا يذكرنا بالعلامة التي قالها صموئيل لشاول حين مسحَهُ، وتكلَّمنا عنها سابقًا، وقال: «في ذهابك اليوم من عندي تصادف رجلين عند قبر راحيل». ونتعجب: أ ليست عندك علامة للطريق إلا قبر راحيل؟! نعم، فهو أيضًا في طريقه للمُلك، وعليه أن يتعظ، فالمُلك ليس دائمًا. فراحيل شابة ذهبت في ريعان شبابها بعدما نالت ما طلبت، لكن شاول لم يتعظ وتجبر.

وحين سكن داود في حبرون كان لخاصة رجاله مساكن حوله: «أصعد داود رجاله الذين معه، كل واحد وبيته، وسكنوا في مدن حبرون» (٢صم٢: ٣) ، ومُسِحَ هناك ملكًا على إسرائيل.

وفي العدد ١٣: ٢٢ تأتي عبارة قد تبدو سردًا تاريخيًا لحقيقة تاريخية، لكن أنا أثق أن الرب حين يعطينا سردًا لحقيقة تاريخية لا يعطينا إياها إلا إذا

كان من ورائها تعليم. ففي العدد ١٣: ٢٢: «أما حبرون فبُنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين». هذه ليست عبارة جافة، لكنها مليئة بالتعليم، وترتبط بموضوع مغارة المكفيلة والرجاء.

> فحبرون معناها الشركة، ومصر رمز للعالم، وصوعن معناها متزعزع. فكون حبرون بُنيت قبل صوعن مصر، التي هي رمز للعالم، وبُنيت قبل مصر بسبع سنين (أي فترة كاملة)، فهذا يعلن أن ما أعده الرب لنا من بركات هو قبل تأسيس العالم.

فبعد أن تكلم بولس وأعلن: «مباركٌ الله أبو ربنا يسوع المسيح، الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات» (أف١: ٣)، وأعلن أننا بوركنا بكل بركة، وفي أفضل موضع وبأفضل طريقة، يعلن أيضًا عن اختيارنا وتوقيت اختيارنا، فيقول: «كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة» (أف ١: ٣، ٤).

نعم، فحبرون بُنيت قبل صوعن مصر، وما أُعِدّ لنا قبل تأسيس العالم.

وفي قضاة ١٠: ٣، ٤ يأتي الكلام عن يائير الجلعادي القاضي الثامن من قضاة إسرائيل، والذي «قضى لإسرائيل ٢٢ سنة. وكان له ٣٠ ولدًا يركبون على ٣٠ جحشًا، ولهم ٣٠ مدينة. منهم يَدعُونها حووث يائير.. هي في أرض جلعاد. ومات يائير ودُفن في قامون».

وهنا نرى نفس قصة دفن سارة من معاني الأسماء. فيائير تعني "يهوه ينير أو يلمع بإشراق"، وجلعاد "تلة الشهادة". وعند موت يائير دُفن في "قامون" التي تعني "قيام أو مكان الحبوب". والذين دفنوا يائير أبناؤه، فقد

كان له ٣٠ ولدًا يركبون على ٣٠ جحشًا، وهم حكام ذو نفوذ وسيادة على مدن سُمِّيت على اسم أبيهم "حووث يائير". ومعنى "حوث" حياة، لكن معناها "حووث" حيوات- أي جامعة حياة. وكأن أبناء يائير امتداد لحياة يائير حتى بعد موته، فهو مات ودُفن في قامون أو مكان الحبوب، وفيها نرى امتداد حصاد وفير كعربون القيامة، وهم يحيون هذا الرجاء.

لكن في حبرون أيضًا مات ودُفن أبنير بن نير. وفي حبرون أتى بعنة وركاب برأس إيشبوشث إلى داود فدُفنت في قبر أبنير. وحتى بعنة وركاب ابني رمون البيروتي قُتلا في حبرون، وعلّقت أيديهما وأرجلهما على البركة في حبرون.

والسؤال: هل لنا في هذه الأمور السلبية طعام؟ نعم، ففي دفن أبنير في حبرون نرى دفن العداوة والكراهية للملك الممسوح من الله، لأن بعد موته نودي بداود ملكًا على إسرائيل. وفي دفن رأس إيشبوشث في حبرون نرى دفن التخطيط بإزاحة الملك الممسوح، ودفن الغدر والخيانة، ثم أصبح داود ملكًا بلا منازع. أما في تعليق أيادي وأرجل بعنة وركاب في البركة في حبرون، فهناك عُلّقت خيانة الأصدقاء والوصولية والتودد للملوك. فلنأخذ بقليل من التفصيل لفائدتنا كل منهم في سطور:

أولاً: أبنير بن نير

هو ابن عم شاول، ومعنى اسمه "الأب نور". وفي ١صموئيل ١٧: ٥٥ سأل شاول الملك أبنير عن داود: «ابن مَن هذا الغلام يا أبنير؟». وبعد النصرة على جليات، رجع داود ورأس الفلسطيني بيده، «فقال له شاول: ابن مَن أنت يا غلام؟». وهنا نرى لا النير ولا شاول يعرفان داود ابن مَن، وهذا

ما أشار إليه الرب في يوحنا ٨: ١٩ عن اليهود: «لستم تعرفونني أنا ولا أبي. لو عرفتموني لعرفتم أبي أيضًا».

لقد رافق أبنير شاول في مطاردته لداود. ولما مات شاول، أخذ أبنير إيشبوشث ابن شاول ونادى به ملكًا، وهو يعلم كل العلم أن الرب اختار داود وأعلن هذا بفمه: «لأن الرب كلّم داود قائلًا: إني بيد داود عبدي أخلّص شعبي إسرائيل» (٢صم ٣: ١٨)، وبالفعل حكم إيشبوشث سنتين، وكانت عاصمة ملكه محنايم شرق الأردن.

واشتعلت الحرب بين بيت شاول وبين بيت داود، وانكسر أبنير ورجاله أمام داود ورجاله. وأبنير ليس فقط عدوًا لداود، لكنه أيضًا قاتل، فقد قتل عسائيل أخو يوآب رئيس جيش داود. لكنه حين ذهب إلى داود بعدما اغتاظ من عتاب إيشبوشث له، قبِله داود وصنع له وليمة. لكن يوآب بمكر قتل أبنير انتقامًا لأخيه عسائيل الذي قتله أبنير، وأيضًا لخوفه على مركزه من أن يأخذه أبنير. فمات أبنير بدم عسائيل، وهو الذي كان يحلم بمركز مرموق في مملكة داود، لكن فاجأه هلاك مباغت.

ولكن بموت أبنير قُتلت العداوة بين المعارضين لداود، وانحاز كل الشعب لداود ونودي به ملكًا على إسرائيل كلها. ورثى داود أبنير ودُفن في حبرون، ودُفنت معه العداوة للملك الممسوح.

ثانيًا: إيشبوشث ابن شاول

الذي اختلف مع أبنير وافترقا عن بعضهما بعد ذهاب أبنير لداود، ومات هناك بيد يوآب بن صروية، هو أيضًا مات مقتولاً.

وإيشبوشث اسم عبري معناه "رجل الخزي". «لما سمع... أن أبنير قد مات في حبرون، ارتخت يداه» (٢صم ٤: ١)، لأنه كان كل اتكاله عليه. وفي يومٍ وهو نائم نومة الظهيرة ومطمئن، جاء رَجلين من بني بنيامين مثله، وهما: بعنة وركاب، الأخوان اللذان أرادا أن يتوددا لداود، فدخلا إلى وسط البيت وضربا إيشبوشث في بطنه وقتلاه وقطعا رأسه وأتيا بها إلى داود، وقالا له: «هوذا رأس إيشبوشث بن شاول عدوك» (٢صم٤: ٨).

يقينًا كانا يحلمان أن يعطيهما داود مكانة في مملكته بعدما أُتيحت له كل الطرق لاعتلاء العرش، لكن فوجئا بغضب الملك، وقال: «حيّ هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيق» (٢صم٤: ٩). وأعلن رفضه وكُرهه للخيانة والغدر والخسة، وأمر بتنفيذ القضاء في الأخوين بعنة وركاب: «فقتلوهما، وقطعوا أيديهما وأرجلهما، وعلّقوهما على البِركة في حبرون» (٢صم٤: ١٢).

وهكذا مات بعنة وركاب ميتة واحدة في يوم واحد، في الوقت الذي كانا يحلمان فيه أن الملك سيفعل بهما خيرًا، وإذا بهلاك مباغت لهما لشرهما. وربما كان بعنة وركاب صورة لمَن يقتلون باسم الدين، ظانّين أنهم يقدمون عملًا لله، وهذا واضح من قولهما لداود: «قد أعطى الرب لسيدي الملك انتقامًا».

لكن لنلاحظ أن إيشبوشث وأبنير كانا معًا وماتا مقتولين في وقت لم يكن في حسابهما، فقد كانا يخططان للمُلك وقتل الملك المعيَّن من الرب، لكن جمعهما قبر واحد وطُمِرت كل أحلامهما.

لكن من جهة أخرى نحن نعرف أن دفن الموتى يتكلّف كثيرًا، وهنا نرى غنيًّا دون تردد يتحمّل تكاليف الدفن ويعطي كل ما عنده. ولم يَقُم بهذه

الخدمة وحده، بل «وجاء أيضًا نيقوديموس، الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً، وهو حامل مزيج مرّ وعود نحو مئة منًّا. فأخذا جسد يسوع، ولفّاه بأكفان مع الأطياب، كما لليهود عادةٌ أن يكفّنوا» (يو١٩: ٣٩- ٤٠).

ويقينًا نيقوديموس الذي شارك يوسف الرامي في إنزال جسد الرب يسوع من على الصليب، تذكّر ما قاله الرب يسوع له في يوحنا ٣: ١٤، ١٥ «وكما رفع موسى الحيّة في البريّة هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية».

وأدرك نيقوديموس الذي أعلن له الرب صراحةً أنه كان المرْموز إليه بالحيّة النحاسية المعلّقة، وأنه «ينبغي أن يُرفع» على خشبة اللعنة. وها هو أمام عينيه معلّق على الصليب كفّارة عن الخطية. ويقينًا ربط هذه الأقوال بما جاء في سفر العدد والحيات اللادغة والحيّة المعلّقة الشافية المُحيية عندما رأى السيد معلّقًا. بل ربما سمعا كل من نيقوديموس ويوسف الرامي قول الرب: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذُب إليّ الجميع». ويقينًا في وقتها لم يفهما ما يقول، لا سيما أن موت الصليب لم يكن مألوفًا للفريسيين أو اليهود. فنحن نعرف أن اليهود يعرفون الرجم للزاني أو المجدّف أو المتمرّد، لكن الرومان كانوا يصلبون العبيد والثوار والمتمرّدين والمجرمين.

وعليه، فلا نيقوديموس ولا يوسف الرامي قد فهما ما المقصود بقول الرب: «وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إليّ الجميع». لكن ها هو معلّق على الصليب، وجذب قلبيهما فاتحدا معًا لتكريم مَن أحبّوه.

والحقيقة أن طبيعة الشرقيين إكرام موتاهم بدفنهم، كما أنه طابعهم الوقوف بجانب الفقراء أو الغرباء لدفن موتاهم سواء بدافع إنساني أو بدافع

المحبة. وهذه صفة ممدوحة في حد ذاتها، يا حبذا لو نتحلّى بها، لأن كثيرين ممن حولنا قد تفاجئهم ظروف وفاة وهم ليس لديهم فائض مادي يسمح لهم بمجابَهة هذا الظرف. فعلينا أن نتكاتف لسترهم في مواجهة هذا العبء المالي المفاجئ لهم، ويكفيهم حزنًا على فراق مَن لهم.

وفي متى ٢٧: ١٠ نرى رؤساء الكهنة يتشاورون ويفكرون في غرباء من الأمم يأتون إلى أورشليم ومنهم مَن يموت فيها. فكروا معًا في الاهتمام بهم ودفنهم، لكن ليس كعمل إنساني بل حبًّا في التظاهر ودون أن يضع أحد يده في جيبه أو يخرج أي مال لهذا العمل، بل لينالوا تقديرًا من الناس ومديحًا مجانًا. فمن أين أتوا بالمال لهذا الأمر؟ آه، لقد أخذوا الفضة التي رُدّت إليهم من الإسخريوطي، لا سيما أنهم علموا أن الذي أعطاهم الفضة «مضى وخنق نفسه» (مت ٢٧: ٥). وبهذا خلصوا من أكبر أدلّة لإدانتهم.

أما ما فعلوه بهذه الفضة فكان كالآتي: «أخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا: لا يحل أن نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم. فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء. لذلك سُمّي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم» (مت ٢٧: ٦- ٨).

لقد اقترحوا أن يفعلوا بالفضة عمل خير، لأنه وبحسب تعصّبهم وريائهم لا يجوز لهم أن يجعلوا الفضة في القرابين النقدية المقدّمة للهيكل. إذًا لا مانع من شراء مقبرة للغرباء بهذه الفضة. وهكذا ألبسوا أفعالهم الرديئة ثوبًا جميلاً وكأنه فعل خير، آه لكنه بمال حرام!!

والحقيقة أنهم خلّدوا فعلتهم بهذا المال،
وأقاموا تذكارًا وشاهدًا لإثمهم.

على أن لمقبرة الغرباء معنى نبوي هام، فهذه الأرض التي رفضت ابن الله وسفكت دمه الكريم، سوف تطوي في باطنها جثث القتلى من جيوش الغرباء، جيوش الوحش وجيوش الأشوري ملك الشمال، فتصير مقبرة للغرباء. وهذا انتقام العدل الإلهي من الأمم المشتركة مع اليهود في جريمة رفض وصلب الرب يسوع.

فحتى ما قام به رؤساء الكهنة والشيوخ من اهتمام بالغرباء ودفنهم، كان مجرد رداء للتديّن كعادتهم. أما دفن الموتى أو الغرباء فهو عمل رائع إذا كان دافعه الشفقة أو المحبة وستْر غير المقتدر أو تكريم لحبيب، كما فعل تلاميذ المعمدان بمعلّمهم الذي قُتل بسيف هيرودس الذي كان يحب المعمدان ويهابه، علمًا أنه رجل بار وقدّيس، وكثيرًا ما سمعه بسرور (مر ٦: ٢٠). ولكن أيضًا عندما دخلت ابنة هيروديا ورقصت، سُرّ هيرودس والمتكئون معه، ووعدها بقَسَم طائش أن يعطيها ما تطلب. وهي استشارت أمها وطلبت رأس يوحنا المعمدان على طبق. فحزن هيرودس، لكنه أرسل سيافًا فمضى وقطع رأس المعمدان. «ولما سمع تلاميذه، جاءوا ورفعوا جثته ووضعوها في قبر» (مر ٦: ٢٩). نعم، لقد قاموا بعمل رائع دافعه المحبة.

وفي أعمال ٨: ٢ وبعد رجم استفانوس «حمل رجال أتقياء استفانوس وعملوا عليه مناحة عظيمة». ونحن لا نعرف أسماء هؤلاء الرجال، لكن يكفينا شهادة الروح القدس عنهم أنهم رجال، وأنهم أتقياء. وهاتين الصفتين وُصف بهما أيضًا يوسف الرامي موضوع تأملنا.

وفي ١صموئيل ٣١ سمّر الفلسطينيون جسد شاول الملك على سور بيت شان بعدما قطعوا رأسه. ولما سمع سكان يابيش جلعاد بما فعل الفلسطينيون

بشاول: «أخذوا جسد شاول وأجساد بنيه عن سور بيت شان... ودفنوها» (١صم ٣١: ١٢، ١٣). وسجّل الكتاب لسكان يابيش جلعاد هذا العمل الذي قاموا به وكأنهم يردّون الجميل لشاول الذي أنقذهم من يد ناحاش العموني، ولم ينتظروا مجازاة من أحد.

لكن في ٢صم ٢: ٥، ٦ أخبروا داود قائلين إن رجال يابيش جلعاد هم الذين دفنوا شاول. فأرسل داود رسلًا إلى أهل يابيش جلعاد يقول لهم: «مباركون أنتم من الرب، إذ فعلتم هذا المعروف بسيدكم شاول فدفنتموه. والآن ليصنع الرب معكم إحسانًا وحقًا، وأنا أيضًا أفعل معكم هذا الخير لأنكم فعلتم هذا الأمر».

فإن كان داود لم ينسَ لطف أهل يابيش، فهل ممكن أن ينسى الرب خدمة أحد يقوم بدفن غريب أو محتاج بدافع المحبة أو سد الأعواز أو مواساة؟ ليتنا نضع هذا في قلوبنا.

«وكان في الموضع الذي صُلِبَ فيه بستانٌ، وفي البستانِ قبرٌ جديد لم يوضع فيهِ أحدٌ قط» (يوحنا١٩: ٤١).

كان القبر في بستانٍ قريب من مكان الصلب، وسار الأحباء حاملين الجسد الكريم في موكب جنائزي حزين بسيط إذا ما قورن، ليس بموكب العظماء فحسب، لكن حتى إذا قورن بموكب البسطاء. إلا أن **العواطف التي أحاطت به كانت صادقة الوفاء**. وأسرع يوسف ونيقوديموس في عملية دفن الرب يسوع، ليتجنبا العمل في يوم السبت الذي يبدأ بغروب شمس يوم الجمعة.

لكننا نرى أيضًا هيمنة الرب على الأحداث قبل أن تبدأ. فلِماذا يشتري يوسف هذا البستان في هذا المكان القريب؟؟ إنها العناية الإلهية والترتيب الإلهي. فيوسف بغير ترتيب مسبق سيتمم نبوة في إشعياء ٥٣: ٩ «وجُعِلَ مع الأشرار قبره، ومع غني عند موته». فهل من الممكن أن تتم نبوة ويُكسر بها الناموس الذي يوصي بحفظ السبت؟ ولا سيما أن «ذلك السبت كان عظيمًا» (يو ١٩: ٣١) لأنه السبت الأول بعد الفصح، وغد السبت هو عيد الباكورة.

نعـم، لأنه إن كان للسبت مركزه الخاص المميز المستقل عن مواسم الرب، إلا أن هذا السبت كان له وضعه الخاص لأنه بين عيد الفصح والفطير وبين عيد الباكورة. ثم إن عيد الفطير سبعة أيام. وفي لاويين ٢٣: ٥- ٨ «في اليوم الخامس عشر من هذا الشهر عيد الفطير للرب. سبعة أيام تأكلون فطيرًا. في اليوم الأول يكون لكم محفل مقدس. عملاً ما من الشغل لا تعملوا. وسبعة أيام تقرّبون وقودًا للرب. في اليوم السابع يكون لكم محفل مقدس. عملاً ما من الشغل لا تعملوا».

إذًا فالوقت قصير جدًا لمن يريد أن يحفظ الوصية، فإن كان القبر بعيدًا فكيف سيكون الحال مع يوسف ونيقوديموس؟ والكتاب يعلن «عملاً ما من الشغل لا تعملوا». صحيح أن لها المعنى الروحي الذي لا يستوعبه الناموسي إلا أنه يتممه. أما نحن، وبسكنى الروح القدس فينا الآن، نفهم أن رائحة المحرقة تصعد إلى السماء إلى ذات عرش الله، وبالتالي لا وجود أو احتياج لعمل الإنسان وسعيه الباطل.

> وبما أن عيد الفصح يرتبط به السبعة أيام التي هي لعيد الفطير، ثم في اليوم السابع محفل مقدس، فالجموع ما زالت موجودة حتى يتم الاحتفال إلى اليوم السابع. ولأن القبر كان قريبًا فهذا يسمح لكل مَن يسمع عن خلو القبر من الجسد الكريم، وأن القبر فارغ، أن يأتي ويرى بنفسه ويتيقن أن **الخبر صحيح، وأن المسيح قام وغلب الموت.**

ولك أن تتخيل معي ما هي الأخبار التي سُمعت في غد السبت في عيد الباكورة، فجر أول الأسبوع.

أولاً: يقينًا وصلت أخبار عمّا قاله العسكر حين جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة عن رؤية عيان مؤيَّدة بالزلزلة العظيمة، وأخبروهم أن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه، مما اضطرّهم للهروب في ارتعاد. وأخبروا بكل ما كان، مما دعا رؤساء الكهنة إلى التشاور مع الحراس. وليس هذا فحسب، بل ذهب رؤساء الكهنة إلى الوالي واستعطفوه.

والعجيب أن أحدًا لم يُلقِ القبض على هؤلاء الحراس، بينما في أعمال ١٢: ١٨، ١٩ عندما أخرج ملاك الرب بطرس من السجن «فما صار النهار حصل اضطراب ليس بقليل بين العسكر: تُرى ماذا جرى لبطرس؟ وأما هيرودس فلما طلبه ولم يجده فحص الحراس، وأمر أن ينقادوا إلى القتل».

وعليه، فيقينًا حصل اضطراب عندما علم كثيرون من الحراس وقادة الشعب والوالي وعامة الشعب بأن القبر فارغ. فلكي يقطعوا الشك باليقين لابد أن يذهبوا إلى القبر، لا سيما أن «القبر كان قريبًا». ويقينًا كثيرون ذهبوا وعاينوا بأنفسهم أن القبر فارغ، ويقينًا رأوا الحجر المدحرج والختم المكسور، وربما رأوا ما رآه يوحنا وبطرس أيضًا حين انحنى «ونظَر الأكفان موضوعة، والمنديل الذي كان على رأسه ليس موضوعًا مع الأكفان، بل ملفوفًا في موضع وحده» (يو ٢٠: ٦، ٧).

ثانيًا: إن الزلزلة العظيمة لم تكن فقط في محيط القبر والبستان، بل هي عظيمة ممتدة وربما تكون أقوى من الزلزلة التي حدثت بعدما صرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح: «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين، من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت، والصخور تشققت» (مت ٢٧: ٥١).

وعليه، فهذه الزلزلة العظيمة أعلنت أن أمرًا غريبًا يحدث يستدعي التساؤل. ويقينًا ربط الجميع بين الظلمة والزلزلة عند أحداث الصليب، وبين هذه الزلزلة العظيمة. وبالتالي، بما أن القبر كان قريبًا، فلِماذا لا يذهبوا ويروا حقيقة ما أُذيع بينهم من أخبار؟ ولوقا يذكر «ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر» (لو ٢٤:٢٤).

ثالثًا: لا ننسى ما جاء في متى ٢٧: ٥٢، ٥٣ بعدما انشق حجاب الهيكل، والأرض تزلزلت، والصخور تشققت: أن القبور أيضًا تفتحت «**وقام كثيرٌ من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة، وظهروا لكثيرين**».

وعليه، فليس قبر الرب يسوع وحده في هذا الوقت الذي كان فارغًا، بل أيضًا قبور كثير من القديسين الراقدين تفتحت، والقديسين الراقدين قاموا وظهروا لكثيرين.

> فإن كان الجسد الكريم لربنا يسوع المسيح لم يضبطه القبر، معلنًا أن مَن مات وقُبر به، قد غلب الموت لأنه القدوس، فإنه بغلبته أعطانا الغلبة. لذا قام كثير من أجساد القديسين الراقدين وظهروا بأجسادهم لأقاربهم ومَن يعرفونهم. فهم معاصرون للرب يسوع وقبلوه وقبلوا تعليمه، ورقدوا قبل أحداث الصليب. وجميع مَن رأوهم يعرفونهم، والكتاب يعلن أن الذين قاموا ليسوا أرواحًا بل أجسادًا. فعندما دخلوا المدينة وظهروا لكثيرين، يقينًا ذهب الذين رأوهم إلى قبورهم فوجدوها مفتوحة، لأن القبور تفتحت ورأوا أن القبور ليس بها أجساد.

ويلاحظ قول الكتاب: إن الذين قاموا من الموت كانوا كثيرين، وأنهم ظهروا في أورشليم لكثيرين، ولكن ليس جميع الذين في القبور قاموا. وأن أولئك المُقامين لم يخرجوا من قبورهم إلا بعد قيامة المسيح ليكون هو «أول قيامة الأموات»، و«باكورة الراقدين» (أع٢٦: ٢٣؛ ١كو١٥: ٢٠). وأيضًا ليكون «بكرًا من الأموات» و«متقدمًا في كل شيء» (كو١: ١٨). فأولئك الذين قاموا، لم يقوموا ليعيشوا من جديد على الأرض. لقد ظهروا لكثيرين، لكن من الواضح أنهم لم يمكثوا طويلاً على الأرض.

ويرى البعض أنهم كوَّنوا مع المسيح المُقام حزمة الباكورة التي كانت تُردَّد في غد السبت (لاويين ٢٣: ٩- ١١) وهذا ما فعله المسيح إذ صعد بهم ليرددهم أمام الله في صباح يوم القيامة– يوم الأحد.

إن الحزمة وكما نعلم هي كمية ليست بقليلة "إيفة"، وعند قطعها تترك مكانها جزءًا خاليًا. فالرب يسوع له كل المجد أخذ هذه الحزمة ورددها أمام الرب. وفي ترنيمة المصاعد السابعة (مز ١٢٦: ٦): «الذاهب ذهابًا بالبكاء حاملًا مبذر الزرع، مجيئًا يجيء بالترنم، حاملاً حُزمه». ويُلاحظ أنها بالمفرد "الذاهب"، إشارة للرب يسوع الزارع الذي خرج ليزرع (مت ١٣). فهو الزارع، وهو حبة الحنطة التي دُفنت في الأرض وماتت.

نعم، فلقد وعد الرب تلاميذه في العلية قائلاً: «في بيت أبي منازل كثيرة... أنا أمضي لأعد لكم مكانًا، وإن مضيت وأعددت لكم مكانًا آتي أيضًا وآخذكم إليّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا» (يو ١٤: ٢، ٣). وبولس يخبرنا في ١تسالونيكي ٤: ١٥- ١٧ «إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب، لا نسبق الراقدين. لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف

ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً. ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب».

وعليه، فكان القبر قريبًا، وهذا العيد مدته سبعة أيام، فالجموع ما زالت في أورشليم، والقبر كان قريبًا، ويقينًا تيقن الكثيرون من رؤية القبر الفارغ. كما أن غدًا السبت عيد آخر، وهو عيد الباكورة أول أعياد «غد السبت»، والعيد الآخر هو العيد الرابع، عيد الخمسين، لكن مع الفارق، أن في يوم الخمسين كانوا يأتون بالتقدمة من مساكنهم لأن الحصاد يكون قد جُمع، أما في عيد الباكورة فإن التقدمة تأتي مباشرةً من الحقل وتردد أمام الرب دون سابق إعداد (لا ٢٣: ١١) وهي في هذا إشارة للرب يسوع المُقام فجر الأحد «غد السبت»، وأخذ حزمة ليرددها أمام الرب.

وفي عيد الباكورة كانت هناك تقدمات: «خروفًا صحيحًا حوليًا محرقة للرب، وتقدمته عشرين من دقيق ملتوت بزيت وقودًا للرب رائحة سرور، وسكيبه ربع الهين من الخمر» (لا ٢٣: ١٢، ١٣). وهذا يؤكد حتمية تواجده في أورشليم. ونعود ونقول: وبما أن القبر كان قريبًا، فالفرصة متاحة للجميع ليتحقق من القبر الفارغ.

جمع رماد المحرقة

بترتيب إلهي امتدت الأيادي الرقيقة المُحِبة الحنونة،
وتسلَّمت جسد الرب يسوع ولفته بأكفان مع أطياب.
وبمشاعر حزينة حملَهُ نيقوديموس ويوسف الرامي،
وقاما بخدمة رائعة تذكرها لهما الأجيال،
ودُوِّنت على صفحات الكتاب المقدس.

فيوسف الرامي جمع رماد المحرقة ليضعه في مكانٍ طاهر (لا ٦: ١٠، ١١) «ويرفع الرماد الذي صيّرت النار المحرقة إياه على المذبح... ويُخرج الرماد إلى خارج المحلة إلى مكانٍ طاهر».

وفي مزمور ١١٨ مزمور الحجر المرفوض، يأتي القول في عدد ٢٧ «اوثقوا الذبيحة بربُط إلى قرون المذبح». ويا لها من ربُط تلك التي ربطت الذبيح العظيم بالصليب! **إنها لم تكن المسامير، بل المحبة القوية** التي قيل عنها في نشيد ٨: ٦: «المحبة قوية كالموت. الغيرة قاسية كالهاوية، لهيبها لهيب نار، لظى الرب».

نعم، إن سر سلامنا هو إدراكنا لمحبة الرب يسوع لنا حتى إنه واجه الموت حبًا فينا (يو ١٥: ١٣): «ليس لأحد حبٌ أعظم من هذا: أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه».

فإن كان الموت عندما يمسك بأحد لا يمكن أن يتركه، ولا يستطيع أحد أن يؤخذ من يد الموت، فإن محبة الرب يسوع لنا قوية كالموت، بحيث أنه لا يمكن أن يخطفنا أحد من يده. وهذا ما أعلنه في يوحنا ١٠: ٢٧، ٢٨ «خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطفها أحدٌ من يدي». فما أعجب محبة معبودنا الرب يسوع لنا، حتى إنه أسلم نفسه طوعًا لأجلنا، وهذه أحد الرُبط التي ربطت الذبيحة إلى قرون المذبح.

وفي لاويين ٦: ٩ «هذه شريعة المحرقة: هي المحرقة تكون على الموقدة فوق المذبح كل الليل حتى الصباح، ونار المذبح تتقد عليه». ومرة ثانية في لاويين ٦: ١٢ «والنار على المذبح تتقد عليه. لا تُطفأ». وهذا التوكيد يعلن أنهم كانوا يسكنون في طمأنينة بفضل الرائحة الطيبة الصاعدة من المحرقة لأجلهم إلى الله.

وعلى الصليب التهمت النار المحرقة بكاملها، ونحن الآن لنا سلام، ومستريحين بفضل الرائحة الطيبة الصاعدة لأجلنا إلى الله في ليل غربتنا هنا في هذا العالم. فطول رحلتنا نتمتع برضا الرب عنا في الرائحة الطيبة. فأساس قبولنا في المحبوب، الذي هو لأجلنا أمام الله دائمًا، حتى إننا نستطيع أن نقول: كما هو هكذا نحن أيضًا في هذا العالم، لأننا في حضرة الله في كل رائحة ذبيحة وقبول شخصه.

فعلى الصليب التهمت النار المحرقة بكاملها. فكأننا عند الصليب أمام مذبح المحرقة، الذي في جملته هو إعلان برّ الله ومحبته. وبلغة مزمور ٨٥: ١٠ «الرحمة والحق التقيا». فالمصالحة قد تمت، **والله في عدالته**

وقداسته لا يصنع رحمة على حساب الحق، ولا يمسك بصولجان الحق على حساب الرحمة. فالرحمة والحق التقيا في الجلجثة، وليس ذلك فحسب، بل «البر والسلام تلاثما» في صليب الرب يسوع، له كل المجد.

وما يتفق مع ما قلنا، إن الله في عدالته وقداسته لا يصنع رحمة على حساب الحق، ولا يمسك بصولجان الحق على حساب العدل. فهذا واضح أيضًا في صفات الرب يسوع كالمحرقة. فمثلاً حين كانت تُقطع المحرقة، لم تكن تُقطع إلى قطع بل «ويسلخ المحرقة ويقطعها إلى قطعها» (لا ١: ٦). وإن كان السلخ هو نزع الجلد لإظهار ما هو خفي أو بطن أو استتر عن أعين الناس، إلا أن السلخ لم يكن يتم إلا في المحرقة.

نعم، فالرب يسوع في حياته لم يفعل شيئًا ليس في محله. وفي يوحنا ٨: ٤٦ نرى كمال ناسوته، هنا كان يخاطب الذين يعادونه: «من منكم يبكتني على خطية؟». كما لم يجد أحد شيئًا في سلوك أو أقوال الرب يسوع خلال خدمته يُمسك عليه. فهو الإنسان الكامل الوحيد الذي وطأت قدماه هذه الأرض، كاملاً في أفكاره، كاملاً في أقواله، كاملاً في أعماله. فكل صفاته الأدبية كانت في تناسق. لكن من الجهة الأخرى، وهي في غاية الأهمية، إن سلخ المحرقة يشير إلى أن طاعة الرب يسوع للآب لم تكن الطاعة الظاهرية، بل نواياه الداخلية وحياته المستترة كانت تعلن طاعته لأبيه ورغبته الشديدة في تمجيد الآب.

أما عن القول: المحرقة تقطع إلى قطعها وليس إلى قطع، فيعلن أن الرب يسوع له كل المجد، وهو الذي حوى جميع أوصاف الكمال، لم تظهر فيه صفة على حساب الأخرى. فلم تكن المحبة على حساب العدل، أو

المجاملة والذوق الصالح على حساب الحق. فإذا قُطعت ذبيحة إلى قطع، فقد تأخذ قطعة جزءًا من قطعة أخرى، وبالتالي تنقص هذه القطعة عما يجب أن تكون عليه، وتزيد القطعة الأخرى على حساب ما نقص من القطعة الأولى.

أما أن تُقطع الذبيحة إلى قطعها، فهذا يعني إمعان التأمل في كل صفة على حدة. فمثلاً في معجزة إشباع الجموع، بعد ما أكل كل واحد على قدر طاقته، أظهر كل الكرم، لكنه أيضًا أظهر حرصه حين قال لتلاميذه: «اجمعوا الكسر الفاضلة لكي لا يضيع شيء» (يو ٦: ١٢). فسيدنا كان كريمًا بغير تبذير، ومقتصدًا بغير شح.

فحين وجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرًا وغنمًا وحمامًا، والصيارفة جلوسًا، صنع سوطًا من حبال وطرد الجميع من الهيكل، الغنم والبقر، وكبَّ دراهم الصيارف وقلب موائدهم، وقال لبائعي الحمام: «ارفعوا هذه من ههنا! لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة!» (يو٢: ١٦).

فهو وديع بلا ضعف، قوي بلا عنف، كما أنه يريد التأديب لا الخراب. لذا قال لبائعي الحمام: ارفعوا هذه من ههنا»، لأن الحمام إذا أُطلق لن يعود لأصحابه لأنه غير مدرب، بينما الغنم والبقر أصحابها يعرفونها، وغالبًا ما يوضع عليها ختم أو ألوان خاصة بكل تاجر، فلن تُفقد. ويلاحظ أن هذا كان في التطهير الأول للهيكل، وأظهر هيبة وقوة بلا عنف. وفي التطهير الثاني للهيكل كما جاء في متى ٢١: ١٢ كان باعة الحمام قد وضعوا كراسي في الهيكل، وطرد الجميع. لكن ما أروع كمال شخصه الكريم المعبود، الذي في نفس الوقت وبعد هذا الموقف: «وتقدم إليه عُمي وعرج في الهيكل

فشفاهم». لأن غيرته لم تكن عصبية أو نفسية، بل منضبطة، ولم يكن غضبه غضبًا بشريًا انفعاليًا. فحين تقدم إليه العمي والعرج في وقت انفعاله، لم يُخزِهم بل بكل حب وعطف شفاهم.

انظر إليه في يوحنا ٨ لتجده لا يتساهل مع الخطية، لكنه لا يقسو على المرأة الخاطئة، مظهرًا الرحمة مع القداسة: «ولا أنا أدينك. اذهبي ولا تخطئي أيضًا» (يو ٨: ١١). وهكذا مع مفلوج يوحنا ٥ بعد ما شفاه: «بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل، وقال له: ها أنت قد برئت، فلا تخطئ أيضًا لئلا يكون لك أشرّ» (يو ٥: ١٤). فهو لا يقدم فقط شفاءً جسديًا، بل يدعو للتوبة ويحذر من الاستهانة بالشر.

انظر إليه حين كان يوبخ الرياء والمرائين، بينما كان التائبون والعشارون والخطاة يدنون منه ليسمعوه.

دعنا نعود الآن

إلى الأيادي الرقيقة المُحِبة التي اهتمت بالمحرقة الكاملة بعدما شُويت بنار العدل الإلهي، لنرى ما فعله يوسف، وما قام به رؤساء الكهنة.

فيوسف بعدما رفع الرماد ووضعه في مكان طاهر، مضى، ثم جاء رؤساء الكهنة الفريسيون في الغد، أي في السبت العظيم، إلى بيلاطس بعدما تذكروا أن المسيح قال وهو حي: «إني بعد ثلاثة أيام أقوم» (مت٢٧: ٦٣). وطلبوا من بيلاطس أن يصدر أوامر «بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه».

وفي هذا كل العجب! لأنه لماذا يسرق التلاميذ الجسد؟ وما لزومه؟! فقد دُفن المسيح بإكرام أكثر مما كانوا يتوقعون. فهل ممكن سرقة الجسد ليكرموه أو يطيبوه ويدفنوه؟! وهل سيكرمونه إكرامًا أكثر مما أكرمه يوسف ونيقوديموس؟! مستحيل، فإن المؤرخين قالوا: إن الأطياب التي وُضعت على جسد سيدنا الكريم كان يكفن بها الملوك فقط. ثم ماذا سيعود عليهم من سرقة الجسد؟ وأين سيذهبون به؟!

لكن رؤساء الكهنة والفريسيين الذين يدّعون حفظ السبت العظيم بعدما ذهبوا إلى بيلاطس وعرضوا عليه مطلبهم، لم يأمر بضبط القبر، بل قال لهم: عندكم حراس، اذهبوا واضبطوه كما تعلمون. فمضوا ومعهم الحراس وضبطوا القبر وختموا الحجر!!

وفي هذا كل العجب، فحين يريدون أن يحفظوا السبت يحفظونه، وحين يخططون لأي هدف في نفوسهم لا يبالون بحفظ السبت حتى إن كان عظيمًا. والعجيب أن السبت الذي كان عظيمًا كان رب السبت فيه في قبر يوسف ليله ونهاره. **لكن الحقيقة أن كل ما فعلوا كان أدلة إثبات لقيامة الرب يسوع.**

إن الحجر الذي دُحرج على باب القبر (كان كبيرًا) (مت ٢٧: ٦٠). ويذكر المؤرخون أن هذه الأحجار كانت ما بين واحد ونصف طن إلى اثنين طن، وكانت القبور عند تصميمها يُوضع مجرى على باب القبر، ثم يرفع أكثر من عشرة رجال الحجر ليدحرجوه على هذا المجرى بعد إجراءات الدفن، وهذا ما تم.

وذُكر عن يوسف بعد إجراءات الدفن أنه «دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر» (مت ٢٧: ٦٠). ولذلك قالت المريمات فيما بينهن: «مَن يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟» (مر ١٦: ٣). فهن نساء، والحجر كبير. ثم إن القبر كان على منحدر، فدحرجته من فوق إلى أسفل أهون بكثير من دحرجته أو رفعه من الجهة العكسية، فهذا أصعب. لذلك نقرأ أن «ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه» (مت ٢٨: ٢). وكان الجلوس هو ختم السماء على الوضع الجديد.

فالقبر فارغ،

والمسيح قام.

فإن كان رماد المحرقة هو الشهادة على أن النار قد فعلت فعلها كاملاً، وأن الذبيحة قد قُبلت إذ التهمتها نار الله، فإن القبر الفارغ يعلن قداسة ناسوت الرب يسوع. فالمسيحية لم تُبنَ على قبر فارغ فحسب، بل أيضًا على مخلص حي: «أُسلِمَ من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا» (رو ٤: ٢٥). هذه هي ركيزة إيماننا، فالقبر الفارغ دليل سداد الدين بالكامل. أو بأكثر دقة نقول:

في الصليب سداد الدين،

لكن

في القيامة استلام الصك بسداد الدين وإشهاره أمام الجميع.

لكن لا ننسى أن مذبح المحرقة كان له أربعة قرون منه على زواياه الأربع: «وتصنع قرونه على زواياه الأربع. منه تكون قرونه، وتغشيه

بنحاس» (خر ٢٧: ٢). فهذه القرون الأربعة تتجه إلى كل الأرض باتجاهاتها لتحمل رسالة مزدوجة: أولاً أن كل العالم تحت قصاص من الله (رو ٣: ١٩)، وثانيًا أن هناك كفارة إلهية قد قُدمت لأجل العالم، وأن الله أحب العالم وقدم دليل محبته: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦). **فكما أن الذنب هو ذنب كل العالم، فهكذا العلاج الإلهي مقدم لكل العالم.**

وبما أن قرون المذبح كانت ملجأ للذين يلجأون إليها ليحتموا بالدم المرشوش عليها، لأنها مكان الرحمة الإلهية للذين يلتجئون إليها، فهذا ما نراه هنا في موت الرب يسوع المسيح وسفك دمه على الصليب، وأيضًا في القبر الفارغ الذي يعلن قبول الله لذبيحة الرب يسوع القدوس.

لكن قرون المذبح الأربعة تتجه إلى أربعة أقاصي الأرض لتذيع البُشرى، فالقبر الفارغ، والأكفان المرتبة كانت بمثابة القرون الأربعة التي أذاعت بشرى القيامة، لا سيما وكما ذكرنا أنه في هذا التوقيت بالذات حيث المحافل المقدسة.

فمن أعمال ٢: ٥ نعرف أن اليهود الأتقياء الذين تشتتوا كانوا يتممون وصية الرب: «ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب» (خر ٢٣: ١٧). فكان الجميع يأتون، لا سيما الذكور، في عيد الفصح وعيد الخمسين وعيد المظال، يصعدون للعبادة في أورشليم. لذلك نقرأ أعمال ٢: ٥ «وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء ساكنين في أورشليم».

أتوا للاحتفال بالعيد، ويقينًا سمعوا الخبر، وربما أكثرهم شاهدوا أحداث الصليب والظلمة المعجزية والزلازل وتشقق الصخور، وربما لهم أقرباء

قاموا مع قيام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وربما ظهروا لهم وتيقنوا من أن قبورهم فارغة يوم الباكورة. ويقينًا شعروا بالزلزلة العظيمة فجر أول الأسبوع (الأحد)، وكان كل هذا بمثابة إذاعة الحقيقة:

حقيقة القيامة.

وبما أنهم من كل أمة تحت السماء (أع ٢: ٥)، فيقينًا نقلوا الأخبار إلى بلادهم بعد عودتهم، وهكذا أُذيع الخبر من قرون المذبح إلى كل أمة تحت السماء. ويقينًا كثير منهم أطاعوا الإيمان بعد كل هذه البراهين، ونقرأ أيضًا أنهم بشّروا بإيمانهم لمن حولهم في بلدانهم. ومن بين هؤلاء الكثيرين يذكر لنا الكتاب في أعمال ٦: ٧: «وكانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جدًا في أورشليم، وجمهور كثيرٌ من الكهنة يطيعون الإيمان».

ربما آمنوا قبلاً إيمانًا عقليًا في بدء الأمر، لكن لم يطيعوا الإيمان. لكن **بعد أحداث الصليب أطاعوا الإيمان،** لأن الكهنة هم أكثر الفئات مقاومة لقيامة الرب يسوع، وذلك لأنهم مرتبطون بالهيكل وأنظمته. ويذكر لنا "فلافيوس يوسيفوس" المؤرخ اليهودي الذي عاصر كتابة سفر الأعمال، في كتابه "الحروب اليهودية"، إشارة إلى اضطرابات دينية وانقسامات في الكهنة في تلك الفترة، وأن بعضهم أطاع الإيمان كما ذكر لنا لوقا في سفر الأعمال.

ولا ننسى ما جاء في متى ٢٧: ٤٥- ٥١: «ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوتٍ عظيمٍ... وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين، من فوق إلى أسفل».

لقد غابت الشمس في رابعة النهار، وغشى الظلام وجه الأرض لمدة ثلاث ساعات. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع صرخة تعلن أنه أسلَم الروح بإرادته وسلطانه المطلق، ثم أسلَم الروح. أو كما قال يوحنا بأكثر تفصيل: «نكس رأسه وأسلم الروح» (يو ١٩: ٣٠). ثم يكمل متى ويقول: «وإذا حجاب الهيكل قد انشق».

إن وقت انشقاق حجاب الهيكل كان وقت العشية، وقت تقديم المحرقة المسائية (خر ٢٩: ٣٨، ٣٩): «وهذا ما تقدمه على المذبح: خروفان حوليان كل يوم دائمًا. الخروف الواحد تقدمه صباحًا والخروف الثاني تقدمه في العشية». وفي يوم الصلب، قُدِّمت التقدمة الصباحية ولم يحدث شيء، لكن عند وقت التقدمة المسائية حدث أمر عجيب عند رابية الجلجثة كان صداه في الهيكل، فقد انشق الحجاب وكثير من الكهنة عاينوا وفزعوا.

والحجاب عبارة عن ستارة مصنوعة من أسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص مبروم (خر ٢٦: ٣١)، فلم يكن مصنوعًا من خشب بل قماش معدّ للانشقاق. لكن يا له من رعب أصاب الكهنة في الهيكل هناك! فقدان الحجاب، وكان هناك مذبح البخور، وكان هناك مَن يقدم تقدمة البخور المسائية (خر ٣٠: ٨)،

لكن فجأة انشق الحجاب

وظهر قدس الأقداس أمام عيونهم.

لكن لنا سؤال عن الكهنة الذين عاينوا كل هذه الأحداث وانشقاق الحجاب: هل لم يذهبوا ليخبروا رئيس الكهنة؟ يقينًا في فزع وارتياب ذهبوا

وأعلموه بالأمر. لكن يا للعجب، لقد «اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: يا سيد، قد تذكرنا أن ذلك المُضِلّ قال وهو حي: إني بعد ثلاثة أيام أقوم» (مت ٢٧: ٦٢، ٦٣). ثم مضوا وضبطوا القبر وختموا الحجر. فيا لها من قسوة قلوب! لقد وصلتهم الأخبار بكل وضوح لكنهم متمادون في القسوة، حتى بعدما جاءهم الحراس وأخبروهم بكل ما كان «اجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة» (مت٢٨: ١٢).

فيا لها من قلوب قاسية!

ملحوظة:

لم يكن التابوت موجودًا في الهيكل لأنه اختفى منذ السبي البابلي.

لكن من الجهة الأخرى كان هناك «جمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان» (أع ٦: ٧). فكانت قرون المذبح الأربعة التي أذاعت البشرى جعلتهم يكفّون عن المكابرة، وعملت النعمة عملها فيهم، فتركوا مجامعهم والتصقوا بالمؤمنين، وأطاعوا الإيمان.

وفي يوم الخمسين «وقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم .... أيها الرجال الإسرائيليون اسمعوا هذه الأقوال: يسوع الناصري رجلٌ قد تبرهن لكم من قِبَل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيدهِ في وسطكم، كما أنتم تعلمون. هذا أخذتموه مسلَّمًا بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدي أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذي أقامه الله ناقضًا أوجاع الموت، إذ لم يكن ممكنًا أن يُمسَك منه» (أع ٢: ١٤، ٢٢- ٢٤). معلنًا أمام الجميع أن المسيح صنع معجزات وآيات، وأنهم حكموا عليه بالصلب وأنهم قتلوه، لكنه قام. ومبرهنًا أن قيامة الرب يسوع المسيح برهان واضح

على اكتفاء الله وشعبه بالعمل الكامل الذي تم. وهذا ما أعلنه الرب يسوع نفسه في يوحنا ١٣: ٣١، ٣٢: «الآن تمجد ابن الإنسان وتمجد الله فيه. إن كان الله قد تمجد فيه، فإن الله سيُمجده في ذاته، ويمجده سريعًا».

فالصليب أظهر مجده كابن الإنسان، كما أظهر صفات الله في عدله ورحمته وقداسته وأيضًا محبته. وبظهور صفات الله فيه تمجد ابن الإنسان. نعم، ففي حياته مجَّد الآب كالابن الصانع مشيئته كل حين، أما في الصليب فقد تمجد الله من جهة الخطية.

ولأن الله قد تمجد في صليب المسيح، فلا بد أن يمجده في ذاته بإقامته من الأموات، وهذا ما حدث. فالابن مُمجد في ذات الله، لكن مستقبلاً سيُمجَّد الابن في ذاته عندما يملك مستقبلاً.

ولأن كلام بطرس كان بقوة الروح القدس «انضم في ذلك اليوم نحو ٣٠٠٠ نفس» (أع ٢: ٤١). أكثرهم كانت أحداث الصليب والقيامة التي أُذيعت قد مهّدت الطريق لقبول بشرى الإيمان.

فالبشرى وصلت، قرون المذبح أذاعت البُشرى بكل وضوح، مؤيَّدة بالقوات والعجائب والآيات. فالصوت الواضح وأبواق إذاعة أخبار القيامة وصلت لكثيرين بما فيهم جمهور من الكهنة. وفعلوا ما فعله يوسف الرامي ونيقوديموس، ولم يصادقوا العالم على حساب الحق.

وهذا ما جاء في ١كورنثوس ١٤: ٨: «إن أعطى البوق صوتًا غير واضح، فمن يتهيأ للقتال؟». لقد كان البوق صوته واضحًا، والبراهين والأدلة جلية، فنخس الكثيرين في قلوبهم، وقبلوا الكلمة بفرح. وكما فهمنا، أن من بين الكثيرين الذين قبلوا الكلمة بفرح "جمهورٌ كثير من الكهنة" الذين أطاعوا الإيمان، وبالتالي يقينًا نالوا ما ناله يوسف الرامي ونيقوديموس ومثلهما المولود أعمى، وطُردوا من المجمع. أما الباقون الذين لم يطيعوا الإيمان، فقد باعوا الغالي بالرخيص، وفضّلوا المجمع والسطوة والمركز عن أمورهم الأبدية.

وفي ١أخبار ٥: ٢٣ الكلام عن نصف سبط منسى: «وبنو نصف سبط منسى سكنوا في الأرض وامتدوا من باشان إلى بعل حرمون». لكننا من سفر العدد ٢: ٢٠ نعرف أنهم كانوا يسيرون خلف التابوت أثناء رحلة البرية، لكن ما إن وصلوا إلى أرض الأردن حتى تعلقوا بها وتركوا ما كان الله سيملّكه لهم، واكتفوا بالأشياء المنظورة، وانساقوا وراء بنو رأوبين وبنو جاد. وبالفعل نالوا نجاحًا سريعًا: «امتدوا من باشان إلى بعل حرمون وسَنير وجبل حرمون». لكن علينا ألا نغير من هذا لأنهم **اختاروا لأنفسهم وانحرفوا عما أعده الله لهم**، فكانوا مأكلاً سهلاً للعدو. وكانوا أول مَن وقعوا في قبضة ملك آرام، فهم اختاروا الأرض، والأرض لم تبقَ لهم حتى إن الكتاب بالوحي يقول: «فنبَّه إله إسرائيل روح فُول ملك أشور وروح تَغْلَث فَلْنَاسَر ملك أشور، فسباهم، الرأوبينيين والجاديين ونصف سبط منسى، وأتى بهم إلى حلَح وخابور وهَارا ونهر جوزان» (١أخ ٥: ٢٦).

وهذا ما حدث مع جمهور كثير من الكهنة، لم يطيعوا الإيمان بسبب المصالح، مع أن النور جلي، ورأوا الحجاب قد انشق وعلموا يقينًا بحقيقة

القيامة، لكن لم يطاوعوا الحق، بل أرادوا أن يحجبوا نور الشمس بكذبهم. وما حدث مع السبطين ونصف حدث معهم، فلم يمضِ سوى ثلاثين عامًا تقريبًا حتى جاء تيطس الروماني وخرب أورشليم وأحرق الهيكل. فهل نتعظ ونستوعب الدروس ولا نقاوم الحق، بل نطيعه؟

لكن، وبعد أن يكلّمنا خروج ٢٧: ٢ عن قرون المذبح الأربعة التي تذيع بشرى الخلاص، يكلّمنا أيضًا عن قِدر لرفع الرماد: «وتصنع قدوره لرفع رماده»، فالقدر لحفظ الرماد ونقله، لأن الرماد ثمين وهام في نظر الله. وعندما يتقدس المذبح، تتقدس معه الأواني والرفوش التي ستجمع الرماد. «ومذبح المحرقة وكل آنيته... تقدسها فتكون قدس أقداس. كل مَن مسَّها يكون مقدسًا» (خر ٣٠: ٢٨، ٢٩). ذلك لأنك سترفع بها الرماد الذي صيرت النار المحرقة إياه على المذبح.

وفي مزمور ٢٠: ٣ «ليذكر كل تقدماتك، ويستسمّن محرقاتك». والكلمة المترجمة "يستسمّن" تفيد في الأصل "يحول إلى رماد كل محرقتك"- أي إعلان أن الرب قَبِلَ المحرقة بدليل وجود الرماد.

والعجيب أن كلمة "يستسمّن كل محرقاتك" لم ترد في الكتاب إلا هذه المرة الواحدة، لأنها تشير إلى رماد المحرقة، وعمل الرب يسوع الفريد الذي قدم قربانًا وذبيحة لله، وقُبل بدليل الرماد والقبر الفارغ.

ومنظر الرماد، وهو يُحمَل إلى خارج المحلة، أو منظر يوسف ونيقوديموس وهما يحملان رماد المحرقة إلى مكان طاهر، «يحمل إلينا تعليمًا" كما جاء في عبرانيين ١٣: ١٣ «فلنخرج إذًا إليه خارج المحلة حاملين عاره».

وفي سفر العدد ١٩ تأتي شريعة البقرة الحمراء، ونقرأ عن الرماد الذي يُجمع ويُوضَع خارج المحلة في مكان طاهر:

«يجمع رجلٌ طاهرٌ رماد البقرة ويضعه خارج المحلة في مكانٍ طاهر، فتكون لجماعة بني إسرائيل في حفظ، ماء نجاسة» (عد ١٩: ٩).

صحيح أن المقصود هنا هو استعمال الرماد كعلاج ناجح للذنوب التي يتعرض لها المؤمن أثناء عبوره في وسط هذا العالم المدنس، لذا جاءت هذه الشريعة ليس في سفر اللاويين المختص بالذبائح والتقدمات، لكن في سفر العدد، سفر الارتحال.

والخطية في شريعة البقرة الحمراء لا يُنظر إليها كذنب، بل كنجاسة، لذا التركيز فيها على الرماد الذي يُجمع ويُمزج بالماء، «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين، يُقدَّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحرى يكون دمُ المسيح، الذي بروحٍ أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي!»

(عب ٩: ١٣، ١٤).

فإذا لصق بنا غبار من العالم أثناء مسيرتنا في البرية وبعد قبولنا محرقة الرب يسوع الكاملة، وحتى بعد خروجنا إليه خارج المحلة،

لن نفشل.

فنحن بعد الاغتسال نحتاج إلى غسل الأرجل، ليس لأجل تبريرنا وقبولنا، بل لاستمرار شركتنا مع الله، التي قد تتعطل إذا لم نستخدم الرماد وماء النجاسة، فتتطهر ضمائرنا من أعمال ميتة لنخدم الله الحي.

وعلى ذكر الرماد في شريعة البقرة الحمراء، نأتي إلى أمرين مميزين فيها:

أولاً، ما جاء في العدد ١٩: ٣: «فتعطونها لألعازار الكاهن فتُخرَج إلى خارج المحلة وتذبح قدامه». هنا نرى ذبيحة تخرج إلى خارج المحلة وتُذبح هناك، وهذا غير مألوف.

فمثلاً في لاويين ٤: ٣- ١٢

«إن كان الكاهن الممسوح يخطئ لإثم الشعب، يقرِّب عن خطيته التي أخطأ ثورًا .. صحيحًا ... ويذبح الثور أمام الرب. ويأخذ الكاهن الممسوح من دم الثور ويدخل به إلى خيمة الاجتماع... وأما جلد الثور وكل لحمه مع رأسه وأكارعه... فيُخرج سائر الثور إلى خارج المحلة إلى مكانٍ طاهر، إلى مرمَى الرماد، ويحرقها على حطب بالنار، على مرمَى الرماد تُحرق». وكذلك الخطية عن الجماعة كلها، وأيضًا تيس الخطية في يوم الكفارة (لا ١٦).

أما ذبيحة البقرة الحمراء فتختلف، فهي تُخرَج إلى خارج وتذبح هناك، والكاهن يراها أمام عينيه ويتأملها، وهي تذبح بجلدها ولحمها ودمها مع فرثها، وهنا نرى تفرد آخر للبقرة الحمراء وشريعتها. فهذه الذبيحة تُحرق تمامًا خارج المحلة، ولا يُحرق منها أي جزء على المذبح. دمها نفسه يُحرق أيضًا، فهي ذبيحة تنبر أكثر من غيرها على الدينونة الشاملة التي احتملها معبودنا وسيدنا الرب يسوع المسيح، حينما جُعِل خطية لأجلنا، وهذا يدفعنا إلى الانفصال عن كل ما هو من الجسد والاغتسال الدائم بماء الكلمة.

وفي سفر العدد ١٩: ١٧ يأتي الكلام عن "غبار حريق ذبيحة الخطية": «فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيحة الخطية ويجعل عليه ماءً حيًا

في إناء». فالحريق تم منذ زمان، لكن الغبار موجود ليذكرنا بما تم في عدد ٩ «ويجمع رجلٌ طاهرٌ رماد البقرة ويضعه خارج المحلة في مكانٍ طاهرٍ، فتكون لجماعة بني إسرائيل في حفظٍ، ماء نجاسة».

وهذا ما فعله يوسف الرامي.

فقبر يوسف الرامي، يعلن هذا: "**هنا جمع الرماد**".

فقد مات الرب يسوع لأجلنا، لكنه قام كما قال.

وهذا ما قاله الملاك للمرّيمات:

«ليس هو هنا، لأنه **قام كما قال!**

هلمَّا انظرا الموضع الذي كان الرب مضطجعًا فيه»

(مت ٢٨: ٦).

وبالفعل نظرا قبراً فارغاً،

وثياباً تعلن الغلبة.